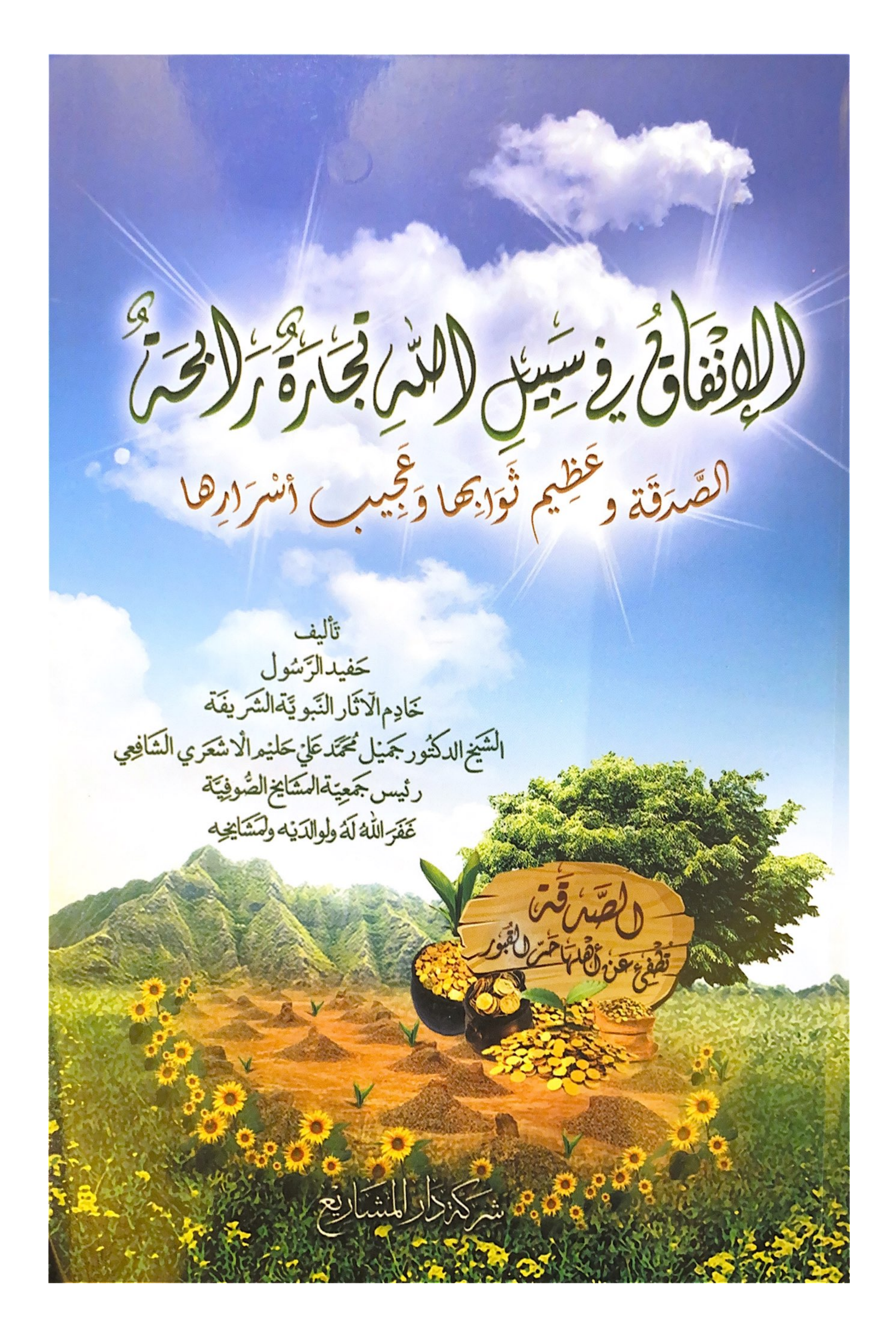


الإنفاقُ في سبيلِ اللهِ تجارةٌ رابحةٌ
الصَّدقَة وعظيم ثوابها وعجيب أسرارها
تأليف
حفيد الرَّسول
خادم الآثار النبويّة الشريفة
الشيخ الدكتور جميل محمد علي حليم الأشعري الشافعي
رئيس جمعيّة المشايخ الصوفيّة
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه
الصَّدقة
تطفئ عن أهلها حرّ القبور
شركة دار المشاريع

الإنفاقُ في سَبيلِ اللهِ
تِجَارَةٌ رَابِحَة

الصَّدَقَةُ وعظيمُ ثوابِهَا وَعَجيبُ أسْرارِهَا

جَمَعَهُ وأعدَّهُ
خادم الآثار النبوية الشريفة
حفيد الرسول
الشيخ الدكتور جميل محمد علي حليم الأشعري الشافعي
رئيس جمعية المشايخ الصوفية
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

شركة دار المشاريع

التوطئة

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرِّ المحجَّلينَ، وعلى ذُرِّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّات التقيَّات النقيَّات الطاهرات الصفيَّات، وصحابته الطيِّبين الطَّاهرين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمِّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبِّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى

عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسأَلُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

نقولُ جازمين معتقِدين صادِقين مخلِصين، بأنّا نشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصّمدُ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لم يتخذْ

صاحبةً وليس له والدٌ ولا والدةٌ، الأولُ القديمُ الذي لا يُشبِه مخلوقَاته بوجهٍ من الوجوه، لا شبيهَ ولا نظيرَ له، ولا وزيرَ ولا مُشيرَ له، ولا مُعينَ ولا ءامِرَ له، ولا ضِدَّ ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدَّ ولا مِثْلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارحَ ولا أَدواتَ ولا أَركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميةَ صغيرةً ولا كبيرةً له فلا حَجْمَ له، ولا مِقدارَ ولا مِقياسَ ولا مِساحةَ ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتِّساعَ له، ولا جهةَ ولا حَيِّزَ له، ولا أَينَ ولا مكانَ له، كان الله ولا مكان وهو الآنَ بلا مكان على ما عليهِ كانَ.

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسِّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، لا إلـٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس

جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال (الله جسمٌ لا كالأجسام) وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌ أبديٌ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّر أكبرُ علاماتِ

الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٧٤﴾﴾، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٠﴾﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾، ومن زعم أن إلـٰهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴿٣﴾﴾، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴿١٦﴾﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من أجسامٍ وأجرامٍ وأعمالٍ وحركاتٍ وسكناتٍ ونوايا وخواطر وحياة وموت وصحة ومرض ولذّة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار

وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، صلى الله عليه وسَلَّم وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الكريم البَرّ الرحيم، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، تقدَّست أسماؤه وعزَّ اسمه ذو الجلال والإكرام.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خير الخلق وخاتم الرسل، والهادي إلى الحقِّ، ذو الخلق العظيم، والنسب الكريم، صاحب الشفاعة العظمى، النذير المبين، حامل لواء الحمد، وصاحب الحوض، خير من وطئت قدماه الحصى، وأوذِيَ فعفى، وخير من أنفق في سبيل الله وتصدَّق، ودعا إلى الخير وكان إليه أسبق، فصلاة ربي وسلامه عليه، وعلى ءاله وأصحابه ومن اتبع هداهَم إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد بُعِثَ سيدنا محمدٌ ﷺ ليُخرجَ الناس من الظلمات إلى النور، ويرشدهم إلى الخير والفلاح، وينير لهم طريق الهداية والفوز في الدنيا والآخرة، حاملًا على عاتقه مهمة تبليغ دعوة الإسلام، دعوة جميع الأنبياء، فكان ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم مصابيح الدجى التي أنارت الدنيا، وكان ﷺ مثلًا حسنًا وقدوة صالحةً لأصحابه وأتباعه، وسار صحابته الكرام على

دربه، فكانوا نجومًا ومشاعل هدايةٍ للناس.

اعلم أخي في الله أنَّ من الأمور التي ورد الشرع الحنيف بالأمر بها مرةً على سبيل الوجوب ومرةً على سبيل الحثّ والتحبيب، وعمل بها الرسول الكريم ﷺ وصحابته الكرام الصدقة والإنفاق في سبيل الله، يقول الله تبارك وتعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة التوبة].

وتعدَّدت الآيات والآثار الدالة على فضلها وعظيم ثوابها، فقد قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [سورة البقرة]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [سورة البقرة].

وقال رسوله الكريم ﷺ: «**مَا نَقَص مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَة**»[1].

---

(١) **سنن الترمذي**، الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، (٤/ ٥٦٢)، رقم الحديث ٢٣٢٥.

ثم جاءت سنة النبيِّ ﷺ لتؤكِّد بالقول والفعل على هذا الأمر وتحضَّ عليه، وتبيِّنَ فضلَه وعظيم ثوابه، وسار الصحابة رضي الله عنهم على الدرب، فمنهم من ترك ماله كله لله، ومنهم من ترك نصفَه، ومنهم من ترك ثلثيه، ومنهم من ترك ثلثه، ومنهم من تصدَّق باليسير من المال أو الطعام، أو أعان المحتاج وغير ذلك.

فبعد هذه الأمثلة الرائعة من رسول الله ﷺ وصحابته الكرام التي ترونها مسطورةً في طيَّات هذه الرسالة، فلنسأل أنفسنا: تُرى أين نحنُ من هذه البطولات والجرأةِ والإقدام في العطاءات؟ فهل أنقذنا ملهوفًا؟ وهل أسعفنا محتاجًا؟ وهل أنقذنا مضطرًّا؟ وهل ساهمنا في بناء مسجدٍ أو مدرسةٍ أو مؤسسة اجتماعيةٍ لأهل السنة والجماعة؟ وهل خرجنا من أموالنا أو من بعضها لتأييد عقيدة رسول الله ﷺ ونصرتها وبثِّها والمحافظة عليها؟ هل نحن مستعدُّونَ لنفعلَ كما فعلَ الأجوادُ الأسخياء من الأولياء والصُّلحاء؟ وليكن جوابك على هذه الأسئلة لنفسك لا لي، فقدّم لقبرك وءاخرتك قبلَ أن تخسرَ هذا المال، أو قبل أن تموتَ فيرثه من لا يتصدق عنك بفلسٍ، وكن كريمًا على نفسك بإنفاقك على الفقراء والمصالح الإسلامية لأجل نفسك، ولا سيّما في أيامنا هذه التي أصبحَ فيها أهل السنة وعقيدتهم كاليتيم الذي لا كافل له، وحيث كثر الفقراء

وامتلأت البلاد بالمحتاجين من المسلمين بسبب غفلة الأغنياء والزعماء والرؤساء والملوك فضيَّعوا من حيث الغالب الفقراء والمصالح الإسلامية وازداد عددُ المنكوبين والمضطرّين زيادة ظاهرةً ملحوظةً في أكثر البلاد والبقاع والأسقاع، فهبُّوا لنجدة المحتاجين وأسرعوا لإغاثة الملهوفين قبل أن تصيروا في عداد الأموات من أهل البرزخ تحت التراب.

فحثًّا على فعل الطاعات وحضًّا على الإنفاق في وجوه الخيرات وانطلاقًا من قول الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة ءال عمران]، وعملًا بقول رسوله محمد ﷺ: «الدَّالُّ عَلَى الخيرِ كفاعِلِهِ»[1]، وضعتُ هذه الرسالة لتكونَ ذخرًا لي في ءاخرتي وقد وسمتها بـ «الإنفاق في سبيل الله تجارةٌ رابحة»، سائلًا ربَّ العباد أن يَجعل مجتمعاتنا الإسلامية كالجسد الواحد والبنيان المرصوص، ولا قوة إلا به وعليه التوكّل.

المؤلف

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء الدال على الخير كفاعله، (٥/ ٤١)، رقم الحديث ٢٦٧٠.

تعريف الصدقة

الصدقة لغةً: اسمٌ لما يُتَصَدَّق به، وهو مأخوذٌ من مادة (ص د ق)، ومن الصِّدقِ أُخِذت الصدَّقة لأنها تدلُّ على صِدقِ العبودية لله. والصّدقة ما تصدّقْتَ به على الفقراء أو المساكين أو غيرهم، والمتصدِّق هو الّذي يعطي الصّدقة[1]، والـمُصَّدِّق على معنيين: الّذي يصدِّقك في حديثك، والّذي يأخذ صدقات الغنم ونحوها، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ ١٨﴾ [سورة الحديد] بتشديد الصّاد أصلها المتصدّقين فقلبت التّاء صادًا وأدغمت في الصّاد، والصّدقة ما أعطيته في ذات الله للفقراء، يقال تصدّق عليه أي أعطاه الصّدقة.

أما اصطلاحًا فهي العَطِيّة التي تبتغي بها المثوبة من الله تعالى[2]، قال النووي في شرحه على مسلم[3]: «وسميت صدقة لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه بظاهره وباطنه».

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ص د ق)، (١٠/ ١٩٣).

(٢) التعريفات، الجرجاني، باب الصاد، (ص١٧٤).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، كتاب الزكاة، (٦/ ٤).

ءاياتٌ قرءانيَّةٌ في الحثِّ على الصَّدقَة

* قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة البقرة].

* وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [سورة البقرة].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [سورة البقرة].

* وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [سورة البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [سورة البقرة].

* وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [سورة البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [سورة البقرة].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [سورة البقرة].

* وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة ءال عمران].

* وقال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى

ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [سورة ءال عمران].

* **قال الله تعالى:** ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ ﴿٢﴾﴾ [سورة المائدة].

* **وقال تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الأنفال].

* **وقال تعالى:** ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [سورة التوبة].

* **وقال تعالى:** ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة يوسف].

* **وقال تعالى:** ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة إبراهيم].

* **وقال تعالى:** ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [سورة إبراهيم].

* وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الحج].

* وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[سورة الفرقان].

* وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴿١٦﴾﴾ [سورة السجدة].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة فاطر].

* وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الشورى].

* وقال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحديد].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن

قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحديد].

* **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحديد].

* **وقال تعالى:** ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة التغابن].

* **وقال تعالى:** ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة المزمل].

أحاديث في الحث على الصدقة

* روى البخاري[1] ومسلمٌ[2] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اِتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

* وروى البخاري[3] ومسلمٌ[4] أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»[5].

---

(١) **صحيح البخاري**، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، (٢/ ٥١٤)، رقم الحديث ١٣٥١.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الزكاة، باب الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، (٣/ ٨٦)، رقم الحديث ٢٣٩٦.

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ١٠﴾ [سورة الليل]، (٢/ ٥٢)، رقم الحديث ١٣٧٤.

(٤) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الزكاة، باب فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ، (٣/ ٨٣)، رقم الحديث ٢٣٨٣.

(٥) قال السيوطي في شرحه على مسلم: «قال القرطبي: يعني الممسك عن النفقات الواجبات، وأما الممسك عن المندوبات فقد لا يستحق هذا الدعاء اللهم إلا أن يغلب عليه البخل (أي بما أوجب الله)». **الديباج**، السيوطي، (٣/ ٨٢).

* وروى البخاري[1] ومسلمٌ[2] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**».

* وروى البخاري[3] ومسلمٌ[4] عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**».

* وروى البخاري[5] أن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ ءادَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**».

* وروى البخاري[6] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ**

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، (٢/ ٨١٧)، رقم الحديث ٢١٩٥.

(٢) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب المساقاة، باب فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ، (٥/ ٢٨)، رقم الحديث ٤٠٥٥.

(٣) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الأنبياء، ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ [سورة الكهف] (٣/ ١٢٧٩)، رقم الحديث ٣٢٨٠.

(٤) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب السلام، باب فَضْلِ سَاقِى الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا، (٧/ ٤٥)، رقم الحديث ٥٩٩٨.

(٥) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، (٥/ ٢٠٤٧)، رقم الحديث ٥٠٣٧.

(٦) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الحيض، ترك الحائض الصوم، (١/ ١١٦)، رقم الحديث ٢٩٨.

تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ».

* وروى مسلم[1] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يَا ابْنَ ءادَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ**».

* وروى مسلم[2] عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ** » أَوْ «**أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**».

* وروى مسلم[3] أنَّ صحابيًا دخل على النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [سورة التكاثر] قال: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟**».

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزكاة، باب بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَى هِيَ الآخِذَةُ، (٣/ ٩٤)، رقم الحديث ٢٤٣٥.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فَضْلِ الإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ، (٨/ ٣٨)، رقم الحديث ٢٦٣٠.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حدثنا قتيبة بن سعيد، (٨/ ٢١١)، رقم الحديث ٢٩٥٨.

* وروى ابن حبان[1] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**».

* وروى الترمذي[2] عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاةً فقال النبيُّ ﷺ: «**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**»، قالت: «ما بقي منها إلا كتفها»، قال: «**بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**».

* وروى الترمذي[3] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**».

* وروى الترمذي[4] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**[5] **وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ**».

---

(١) صحيح ابن حبَّان، ابن حبَّان، كتاب الجنائز، باب المريض وما يتعلّق به، (٧/ ٢٨٦)، رقم الحديث ٣٠١٦.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، (٤/ ٦٤٤)، رقم الحديث ٢٤٧٠.

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، (٤/ ٥٦٢)، رقم الحديث ٢٣٢٥.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب الزكاة، فضل الصدقة، (٣/ ٥٢)، رقم الحديث ٦٦٤.

(٥) أي ءاثار غضب الله لأن الله تعالى أزلي أبدي، فلا هو يتغير ولا صفاته تتغير، فلو كانت صفاته تزيد أو تنقص من حالٍ إلى حال لكان مثلنا، وهذا مستحيلٌ على الله تعالى لأنَّ الله ليس كمثله شيء.

* وروى الترمذي[1] والنسائي[2] وابن حبان[3] وابن ماجه[4] وغيرهم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ».

* وروى الحاكم[5] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المعْرُوفُ إِلَى النَّاسِ يَقِي صَاحِبَهَا مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالْآفَاتِ، وَالهلَكَاتِ، وَأَهْلُ المعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ».

* وروى البيهقي[6] أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ المؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهرًا أَكْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ».

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، أبوب السفر، باب في فضل الصلاة، (٢/ ٥١٢)، رقم الحديث ٦١٤.

(٢) سنن النسائي، النسائي، (١/ ٤٥٩)، رقم الحديث ١١٣٩٤.

(٣) صحيح ابن حبان، ابن حبان، كتاب الصلاة، باب فضل الصلوات الخمس، (٥/ ٩)، رقم الحديث ١٧٢٣.

(٤) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٤/ ١٨٩)، رقم الحديث ٤٢١٠.

(٥) المستدرك، الحاكم، كتاب العلم، فصل في توقير العالم، (١/ ٢١٣)، رقم الحديث ٤٢٩.

(٦) شعب الإيمان، البيهقي، باب في الزكاة، فصل في الاختيار في صدقة التطوع، (٣/ ٢٤٧)، رقم الحديث ٣٤٤٨.

* وروى البيهقي[1] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ**» أَوْ قَالَ: «**حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ**».

* وروى السيوطي[2] أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَيَدْرَأُ[3] بِالصَّدَقَةِ سَبْعِينَ مَيْتَةً مِنَ السُّوءِ**».

* وروى السيوطي[4] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**الصَّدَقَةُ تَمْنَعُ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ أَهْوَنُهَا الْجُذَامُ وَالْبَرَصُ**».

* وروى الطبراني[5] أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ**».

* وروى الإمام أحمد[6] عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ، وَأَنْ تُكْشَفَ كُرْبَتُهُ، فَلْيُفَرِّجْ عَنْ مُعْسِرٍ**».

---

(١) **سنن البيهقي**، البيهقي، كتاب الزكاة، باب التَّحْرِيضِ عَلَى الصَّدَقَةِ وَإِنْ قَلَّتْ، (٤/ ١٧٧)، رقم الحديث ٨٠٠٢.

(٢) **جمع الجوامع**، السيوطي، حرف الهمزة، (١/ ٨٧٢٤)، رقم الحديث ٢٥١٠.

(٣) أي يدفع.

(٤) **جمع الجوامع**، السيوطي، حرف الصاد، (١/ ١٣٩٢٦)، رقم الحديث ٢٦١.

(٥) **المعجم الكبير**، الطبراني، باب العين، عقبة بن عامر الجهني يكنى أبا حماد كان ينزل مصر، (١٧/ ٢٨٦)، رقم الحديث ٧٨٨.

(٦) **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، (٢/ ٢٣)، رقم الحديث ٤٧٤٩.

فوائد الصدقة وثمراتها

للصدقة فضلٌ عظيم وثواب جزيل في الآخرة، يناله من وفقه الله عزَّ وجلَّ وأراد به الخير، ومن ءاثار الصدقة وعظيم فضلها:

١ - أنَّها تطفئ غضب الله سبحانه وتعالى: كما في قوله ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ[١] وَتَدْفَعُ مَيْتَةَ السُّوءِ»[٢].

٢- أنَّها تمحو الخطيئة: كما في قوله ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ»[٣].

٣- أنَّها وقاية من النار: كما في قوله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[٤].

---

(١) أي ءاثار غضب الله لأن الله تعالى أزلي أبدي، فلا هو يتغير ولا صفاته تتغير، فلو كانت صفاته تزيد أو تنقص من حالٍ إلى حال لكان مثلنا، وهذا مستحيلٌ على الله تعالى لأنَّ الله ليس كمثله شيء. وقد مرَّ هذا التعليق فيما سبق.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب الزكاة، فضل الصدقة، (٣/ ٥٢)، رقم الحديث ٦٦٤.

(٣) صحيح ابن حبان، ابن حبان، كتاب الصلاة، باب فضل الصلوات الخمس، (٥/ ٩)، رقم الحديث ١٧٢٣.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، (٢/ ٥١٤)، رقم الحديث ١٣٥١.

٤- أنَّ المتصدق في ظلِّ صدقته يوم القيامة: كما في قوله ﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ» أَوْ قَالَ: «حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ»(١).

٥- أنَّ في الصدقة دواءً للأمراض البدنية: كما في قوله ﷺ: «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ».

٦- أنَّ فيها دواءً للأمراض القلبية: كما في قوله ﷺ لمن شكى إليه قسوة قلبه: «إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»(٢).

٧- أنَّ العبد إنَّما يُحصِّلُ حقيقة البر بالصدقة: كما جاء في قوله تعالى ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ۝٩٢﴾ [سورة ءال عمران].

٨- أنَّ صاحب الصدقة يُبارَك له في ماله: كما أخبر النبي ﷺ عن ذلك بقوله: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ»(٣).

٩- أنَّه لا يبقى لصاحب المال من ماله إلَّا ما تصدق به: كما

---

(١) سنن البيهقي، البيهقي، كتاب الزكاة، باب التَّحْرِيضِ عَلَى الصَّدَقَةِ وَإِنْ قَلَّتْ، (٤/ ١٧٧)، رقم الحديث ٨٠٠٢.

(٢) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (٢/ ٢٦٣)، رقم الحديث ٧٥٦٦.

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، (٤/ ٥٦٢)، رقم الحديث ٢٣٢٥.

في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴿٢٧٢﴾﴾ [سورة البقرة]، ولما سأل النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها عن الشاة التي ذبحوها: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟»، قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا[1]»[2].

١٠- أن الله تبارك وتعالى يُضاعف للمتصدق أجره: كما في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحديد]، وقوله سبحانه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [سورة البقرة].

١١- أن صاحبها يُدعى من باب خاص من أبواب الجنة يقال له باب الصدقة: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ**

---

(١) أي بقي ثواب ما تصدقتم به وهو ثواب الصدقة بكلِّها إلا كتفها.

(٢) **سنن الترمذي**، الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، (٤/ ٦٤٤)، رقم الحديث ٢٤٧٠.

الصَّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِي مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ».
قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»[1].

١٢- أنها متى اجتمعت مع الصيام واتباع الجنازة وعيادة المريض في يوم واحد أوجب ذلك لصاحبه الجنة: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟»** قال أبو بكر: أنا. قال: **«فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟»** قال أبو بكر: أنا. قال: **«فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟»** قال أبو بكر: أنا. قال: **«فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟»** قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: **«مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»**[2].

١٣- أنّ فيها انشراح الصدر، وراحة القلب، وطمأنينته: فإنَّ النبي ﷺ ضرب مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جُبَّتان من حديد من ثدييهما إلى تراقيهما فأمّا المنفق فلا

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزكاة، باب مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ وَأَعْمَالَ الْبِرِّ، (٣/ ٩١)، رقم الحديث ٢٤١٨.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزكاة، باب مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ وَأَعْمَالَ الْبِرِّ، (٣/ ٩٢)، رقم الحديث ٢٤٢١.

ينفق إلا اتسعت أو وفرت على جلده حتى يخفى أثره، وأمّا البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع[1]. فالمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه، فكلّما تصدق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره، ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقًا بالاستكثار منها والمبادرة إليها. وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [سورة الحشر].

١٤- أن النبي ﷺ جعل الغنى مع الإنفاق بمنزلة القرآن مع القيام به: وذلك في قوله ﷺ: «**لاَ حَسَدَ**[2] **إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ**

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل، (٢/ ٥٢٣)، رقم الحديث ١٣٧٥.

(٢) إن من معاصي القلب الحسدَ، وهو من الكبائر في بعض صُوَرِهِ لا مطلقًا، قال الله تعالى ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [سورة الفلق]، أي أستجير بالله من شر الحاسد إذا أظهر حسده، فالحاسد لا يؤثر حسده إلا إذا أظهره، أما إذا لم يظهر الحسد فلا يتأذّى به إلا الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره. والحسد هو أن يكره الشخص النعمة التي أنعم الله بها على المسلم دينيّة كانت أو دنيويّة والتّمني لزوالها واستثقالها له، وإنما يكون معصيةً إذا لم يكرهه، أي إذا لم يستشعر بكراهية ذلك مخالفةً لنفسه، ومحلّه أيضًا إن عمل بمقتضاه. قال بعض السلف: «لا يعصي إلا إذا عمل بمقتضاه». ومثال العمل بمقتضاه أن يذهبَ للناسِ ويقولَ:=

رَجُلٌ ءاتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ ءانَاءَ اللَّيْلِ وَءانَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ ءاتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ ءانَاءَ اللَّيْلِ وَءانَاءَ النَّهَارِ»[1]، فكيف إذا وفق الله عبده إلى الجمع بين ذلك كله؟ نسأل الله الكريم من فضله.

١٥- **أنَّ الصدقة مطهرة للمال:** فقد كان النبي ﷺ يوصي التجار بقوله: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، إِنَّهُ يَشْهَدُ بَيْعَكُمُ اللَّغْوُ فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ**»[2].

= لا تعاملوه حتى لا يزيد ماله، وأما مجرّد تمنّي زوال النعمة الدنيويّة عن المسلم دون العمل بمقتضاه فليس حسدًا محرّمًا، فالحسد الذي هو حرامٌ هو تمنّي زوال النعمة عن المسلم مع السّعي لذلك بالقول أو بالفعل بالبدن، أما إذا لم يقترن به ذلك فليس فيه معصيةً. وقال القاضي عياض في «إكمال المعلّم بفوائد مسلم» (٣/ ١٨٤): «معناه: لا حسد محمود أو ممدوح إلا هذا، لأنه حسد على فعل الخير. والحسد على ثلاثة أضرب: محرّم مذموم، ومباح، ومحمود مرغّب فيه. فالأول: تمنّي زوال النعمة المحسودة من صاحبها وانتقالها إلى الحاسد، وهذا هو حقيقة الحسد، وهو مذموم شرعًا وعرفًا. وأما الوجهان الآخران: فهو الغبط، وهو أن يتمنى ما يراه من خيرٍ بأحدٍ أن يكون له مثله (أي من غير سلبٍ للنعمة عن صاحبها)، فإن كان من أمور الدنيا المباحة كان تمنّي ذلك مباحًا، وإن كانت من أمور الطاعات كان محمودًا مرغبًا فيه».

(١) صحيح مسلم، مسلم، صلاة المسافرين، باب فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ وَيُعَلِّمُهُ وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، (٢/ ٢٠١)، رقم الحديث ١٩٣٠.

(٢) سنن النسائي، النسائي، كتاب الأيمان والكفارات كتاب الأيمان والنذور=

١٦- أنَّ المتصدقين لهم الهدى من ربهم.

١٧- أنَّ المتصدقين مفلحون.

١٨- أنَّ المتصدقين محسنون.

١٩- أنها تضاعف الأجر.

٢٠- أنها مدخل لأعمال البر.

٢١- أنَّ المتصدقين لهم مغفرة.

٢٢- أن الله سبحانه وتعالى يظله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله[١].

٢٣- أنها تُكَفِّر الذنوب والسيئات.

٢٤- أنها تسبب زيادةً في الرزق وبركةً في الأموال.

٢٥- أنها تدخر لصاحبها يوم القيامة.

٢٦- تدفع ميتة السوء.

= والحلف بعزة الله سبحانه وتعالى، اللغو والكذب، (٣/ ١٣٢)، رقم الحديث ٤٧٤٢.

(١) أي إلا ظلّ عرشه.

شروط حصول الثواب في الصدقة

* **الإسلام**: وهو أعلى الواجبات وأفضلها عند الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الأَعْمَالِ إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**»(١). فالإيمان والإسلام شرط لقبول الأعمال الصالحة، فمن لم يؤمن بالله ورسوله فلا ثواب له أبدًا في الآخرة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۝١٨﴾ [سورة إبراهيم]، فهذا مثلٌ ضربه الله لأعمال الكفّار، فمَثَلُ أعمال الذين كفروا يوم القيامة، التي كانوا يعملونها في الدنيا يزعمُون أنهم يريدون الله بها مَثَلُ رمادٍ عصفت الريح عليه في يومِ ريح عاصفٍ، فنسفته وذهبت به، فكذلك أعمال أهل الكفر يوم القيامة، لا يجدون منها شيئًا ينفعهم عند الله.

* **النية الحسنة والإخلاص**: الإخلاص فيه سرٌّ عظيم، وهو شرطٌ لقبول العمل، يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٢٧٠﴾ [سورة البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۝٥﴾ [سورة البينة]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، (١/ ١٨)، رقم الحديث ٢٦.

لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ [سورة الكهف].

وقد روى البيهقي[1] أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قال: وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرِّيَاءُ**»، وقال عليه السلام: «**إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه**»[2]، قيل: وما إتقانه يا رسول الله؟ قال: «**يخلصه من الرياء والبدعة**».

والإخلاص: هو أن تكون عاملًا بعمل البر أي عمل الخير ابتغاء مرضاة الله.

وأما الرياء: فهو أن تعمل عمل البر لمحمدة الناس أي من أجل أن يمدحك الناس عليه. والرياء ذنبه عظيم، فمن أراد أن يكون له ثواب في صلاته أو في صيامه أو في حجّه أو في زكاته أو في جهاده أو في صدقاته أو في قراءته للقرءان أو في اعتكافه في المسجد أو في ذكر لله فليعمل هذه الأعمال طالبًا للأجر والثواب من الله ولا يحب أن يمدح عند الناس.

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، باب في إخلاص العمل لله عزَّ وجلَّ، (٥/ ٣٣٣)، رقم الحديث ٦٨٣١.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، باب في الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها، (٤/ ٣٤)، رقم الحديث ٥٣١٢.

ثم الذي يعمل أيَّ عمل من أعمال الخير والبر من أجل أن يمدحه الناس فهذا الإنسان ليس له ثواب عند الله في هذا العمل وعليه ذنب من الكبائر. والإنسان الذي يتصدق على الفقراء فلينوِ لله رب العالمين وليخلص في هذا العمل، أما إن فعل كما يفعل بعض الزعماء أو بعض الأغنياء يتصدقون ويوزعون حتى يقال عنه: أبو الفقراء، فلان معين الأرامل، فلان معين المساكين فإن تصدق لهذه النية فهذا ليس له ثواب ولو وزع جبالًا من ذهب بل يخرج من العمل وعليه ذنب من الكبائر الذي هو ذنب الرياء.

والرسول ﷺ حذرنا منه ولعظم ذنبه قال: **«الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ»** أي هو ذنب كبير ولخطورته شبهه بالشرك الأكبر، وليس معناه أن المرائي يكون مشركًا خارجًا من الدين لا وإنما المرائي يكون عليه ذنب من الكبائر. وسئل النبي ﷺ عن الإنسان الذي يقاتل يبتغي الأجر والذكر ما له؟ أي يبتغي الأجر من الله والذكر من الناس أن يقولوا عنه فلانٌ بطل مقدام في الحرب، فقال ﷺ: **«لَا شَيْءَ لَهُ»** فاستعظم ذلك الناس فقالوا للرجل لعلك لم تفهم المسئلة، أعد المسألة على النبي فرجع للرسول ﷺ وسأله ثانية فقال: **«لَا شَيْءَ لَهُ»** لأن هذا العمل لم يكن خالصًا لوجه الله. وفي الثالثة قال له: **«لَا شَيْءَ لَهُ، إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»**.

فإذًا الإخلاص هو إكسير العمل أي روح العمل، فإن كان هذا العمل، أي عمل من أعمال الخير فقد الإخلاص فهو بلا ثواب وفاعله عليه ذنب من الكبائر وعليه معصية كبيرة ويستحق العذاب في الآخرة، فالذي يكون مرائيًا في عمله فهذا يكون عليه وزر - كبير ولا يكون له ثواب في هذا العمل وإن سقطت الفرضية - أي الصلاة مثلًا -. وهنا يجدر الذكر بأن بعض الناس المغفلين يظنون أن الذي يفعل عمل البر لأجل الثواب ولأجل مَحْمَدَةِ الناس يقولون إن له نصف الأجر، فهذا كلام يخالف الشريعة والدليل على ذلك حديث الرجل الذي يقاتل ويبتغي الأجر والذكر فقال الرسول: «**لَا شَيْءَ لَهُ**». فلو كان له نصف الثواب لكان الرسول أعلم بذلك ولكن الرسول قال له ثلاث مرات: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، لأنه كان مرائيًا في هذا العمل.

والله تعالى أمرنا بالإخلاص وحذرنا من الرياء: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ۝١١٠﴾ [سورة الكهف] معناه فليعمل عمل البر والخير والطاعة مبتغيًا بذلك وجه الله لا يريد مَحْمَدة الناس لأن ما عند الناس يزول وما عند الله باق لا يزول، ما عند الله خير وأبقى، ولذلك قال بعضُ السلف: إذا أصلحت ما بينك وبين ربك فلا تبال بالناس، يعني إذا كنت أنت مرضيًّا عند الله فماذا يؤثر عليك غضب الناس!؟ لا شيء بل هو كالعدم، من أرضى الله في سخط الناس فقد رضي الله

عنه، يعني لو أنَّ إنسانًا أرضى رب العالمين بطاعته وسخط الناس عليه لا يضره ذلك في شيء، فأنت اعمل عمل البر والتقوى مبتغيًا الأجر والثواب من الله عز وجل. فلو كان معك طعامٌ قليلٌ وأردت أن تعطيه لطفل صغير فانْوِ لله تعالى وليس لأجل أبيه، رسول الله ﷺ كان إذا لقي اليتيم مسح له على رأسه ليدخل السرور على قلبه فيكسب الثواب من الله، يمسح على رأس اليتيم ليتقرب إلى الله ليس لأجل أم اليتيم بل يبتغي الثواب من الله.

ثم إنَّ شؤم الرياء خطير، يعني أنَّ بعض الناس بسبب هذه المعصية وصلوا إلى الكفر قبل الموت، المعاصي لها سواد يكون على القلب.

الإنسان إذا أخلص لله رب العالمين يرى أسرار العبادات والأنوار والبركات، من أخلص أربعين يومًا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، لذلك بعض الأولياء والصالحين عندما يتكلمون بالموعظة تحس بأن الأنوار تخرج معهم وبأنها خرجت من الفم إلى قلبك فورًا، أما نحن نتكلم فيخرج من الفم إلى الأذن لماذا؟ حسب الحال، لو كان الشخص حاله صادقًا وكان مخلصًا لله فإن هذه الموعظة تنفع وتسري في القلب بعد ذلك، وأيضًا لأن الإنسان الذي يستفيد من الموعظة هو الذي تدخل من أذنه إلى قلبه ويجمع بين القلب والعقل وليس يدخل من هذه الأذن ويخرج من الأخرى.

فينبغي لكلِّ مسلمٍ أن يُخلص في عمله ويجعله كله لله تعالى وحده الذي لا شريك له، وأن يُخلِّص نفسه من الرياء، إذ النَّفْسُ مجبُولَةٌ عَلَى الرِّيَاءِ، وَالتَّخَلُّصُ مِنْهُ مِنْ أَصْعَبِ الأَشْيَاءِ عَلَى النَّفْسِ، والنَّفْسُ لا تَطْهُرُ طَهَارَةً تَامَّةً مِنَ الرِّيَاءِ إلا بَعْدَ مُجَاهَدَةٍ، نسأل الله السلامة. فهنيئًا لمن أخلص لله في عمله، لذلك بعض الأولياء والعلماء من شدة حرصهم على الإخلاص، الله تعالى رزقهم العلم اللَّدُنِّيَّ، وهذا العلم غير مكتسب، لا يُدْرَسُ في الكتب ولا في المدارس ولا في الجامعات ولا الجوامع، وإنما الله تعالى يعطيه لمن يشاء من عباده الصالحين.

* **أن يكون المال حلالًا:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [سورة المؤمنون] **وَقَالَ** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ١٧٢﴾ [سورة البقرة]». ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»(١).

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزكاة، باب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، (٣/ ٨٥)، رقم الحديث ٢٣٩٣.

وهذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها قواعد الإسلام ومباني الأحكام، وفيه الحث على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره، وأن المأكول والمشروب والملبوس ونحوها ينبغي أن يكون حلالًا خالصًا لا شبهة فيه وإن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره، وفيه أن العبد إذا أنفق نفقة طيبة فهي التي تزكو وتنمو وأن الطعام اللذيذ غير المباح يكون وبالًا على آكله ولا يقبل الله عمله.

وقوله: «**ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر**» إلى آخره معناه والله أعلم: يطيل السفر في وجوه الطاعات: الحج والجهاد، وغير ذلك من وجوه البر، ومع هذا فلا يستجاب له لكون مطعمه ومشربه وملبسه حرام، فكيف بمن هو منهمك في الدنيا أو في مظالم العباد أو من الغافلين عن أنواع العبادات والخير.

وقوله: «**يمد يديه**» أي يرفعهما بالدعاء لله مع مخالفته وعصيانه.

وقوله: «**وغُذي بالحرام**» هو بضم الغين المعجمة، وتخفيف الذال المكسورة.

وقوله: «**فأنى يستجاب له؟**» وفي رواية: «**فأنى يستجاب لذلك؟**» يعني من أين يستجاب لمن هذه صفته، فإنه ليس أهلًا للإجابة، لكن يجوز أن يستجيب الله تعالى له تفضلًا ولطفًا وكرمًا والله أعلم.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»، ورواه ورقاء عن عبد الله بن دينارٍ عن سعيد ابن يسارٍ عن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ أنه قال: «**وَلا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ**»[1].

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[2] ما نصه: «قال الخطابي: ذكر اليمين في هذا الحديث معناه حسن القبول».

وقال[3]: «قال القرطبي: وإنما لا يقبل الله الصدقة بالحرام لأنه غير مملوك للمتصدق».

وقال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الميورقي[4] الحميدي في «تفسير غريب ما في الصحيحين»[5] ما نصه: «فتربو في كف

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [سورة المعارج]، (٦/ ٢٧٠٢)، رقم الحديث ٦٩٩٣.

(٢) **فتح الباري**، ابن حجر، (١٠/ ٢٠١).

(٣) **فتح الباري**، ابن حجر، كتاب الزكاة، باب لا تقبل صدقة من غلول، (١٣/ ٤٣٩).

(٤) نسبةً إلى مَيُورقا (mayorka) جزيرة قرب الأندلس.

(٥) **تفسير غريب ما في الصحيحين**، الحميدي، (ص١٧٣).

الرحمٰن أي تنمو وتزيد، وكل شيء زاد وارتفع، فقد ربا يربو فهو راب، وأصل المحققين في كل ما كان من هذا الباب، أن لا تشبيه ولا كيفية، لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى]».

وقال المازري: «قد ذكرنا استحالة الجارحة على الله سبحانه وتعالى، وإن هذا الحديث إنما عبر به على ما اعتادوا في خطابهم ليفهموا، فكنى هنا عن قبول الصدقة بأخذها في الكف، وعن تضعيف أجرها بالتربية، فقال القاضي: لما كان الشيء الذي يُرتضى وُيعزّ يُتلقّى باليمين ويُؤخذ بها استُعملَ في مثل هذا، واستُعير للقبول والرضا، كما قال الشاعر:

إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لمجدِ   تلقّاها عرابةُ باليمين»

قال: «وقيل عبّر باليمين هنا عن جهة القبول والرضا، إذ الشّمال بضدّه في هذا». قال: «وقيل: المراد بكف الرحمن هنا ويمينه كفُّ الذي تُدفع إليه الصدقة، وإضافتها إلى الله تعالى إضافة مِلكٍ واختصاصٍ لوضع هذه الصدقة فيها لله عز جل»[1].

وفيه أيضًا قال ابن عرفة: «يقال أتاهُ عن يمينه إذا جاءه من الجهة المحمودة، والعرب تنسب الفعل المحمود والإحسان إلى

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، (٧/ ٩٨).

اليمين، وضده إلى اليسار. قالوا: واليمين مأخوذٌ من اليُمن. وأما قوله -ﷺ-: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[1]، فتنبيهٌ على أنه ليس المراد باليمين جارحة، فإنها مستحيلة في حق الله تعالى»[2].

وقال التفتازاني في تأويل الكف ما نصه: «قال علماؤنا رحمة الله عليهم في تأويل هذه الأحاديث: إن هذا كناية عن القبول والجزاء عليها. وخص اليمين والكف بالذكر، إذ كل قابلٍ لشيء إنما يأخذه بكفه وبيمينه أو يوضع له فيه فخرج على ما يعرفونه، والله جل وعز منزهٌ عن الجارحة. وقد جاءت اليمين في كلام العرب بغير معنى الجارحة كما قال الشاعر:

إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لمجدِ ... تلقّاها عرابةُ باليمين»

أي هو مؤهل للمجد والشّرف، ولم يرد بها يمين الجارحة، لأن المجد معنى فاليمين التي تتلقى به رايته معنى، وكذلك اليمين في حق الله تعالى. وقد قيل: إن معنى «تربو في كف الرحمن»[3] عبارة عن كفة الميزان التي توزن فيها الأعمال، فيكون من باب حذف المضاف، كأنه قال: فتربو في كفة ميزان الرحمن»[4].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (١٠/ ٢٠١).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، (١٢/ ٢١١، ٢١٢).

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، (٢/ ٨٦)، رقم الحديث ٦٥٦.

(٤) الجامع لأحكام القرءان، القرطبي، (٨/ ٢٥١).

قال الإمام ابن فورك في كتابه «مشكل الحديث وبيانه»[1]:

«اعلم أن معنى الكف ههنا معنى الملك والسلطان كما قال الأخطل:

أعاذل إن النفس في كف مالك   إذا ما دعا يوما أجابت بها الرسلا

ومعنى الخبر على هذا التأويل إن الله عز وجل يجازي المتصدق بما بيناه من الجزاء أضعافًا مضاعفة وفائدته الترغيب في الصدقة وأنها يجب أن يقصد بها الطيب من المال ويخص بالإنفاق ويعلم أن ذلك يجري بعلم الله وقدرته وإرادته ومشيئته أي قد علموا أن الله عز وجل هو المطلع الشاهد وللصدقات قابل لأنها تقع في ملكه وسلطانه على حسب علمه ومشيئته.

وقد روي أن عمر بن الخطاب كان كثيرًا ما ينشد هذين البيتين:

هون عليك فإن الأمور   بكف الإلـٰه مقاديرها

فليس بآتيك منهيها   ولا قاصر عنك مأمورها

ومعنى قوله بكف الإلـٰه أي في سلطانه وملكه وقدرته وهذا أيضًا جائز في كلام الناس في معاملاتهم وتعارفهم لأنهم يقولون ما فلان إلا في كفي يريدون بذلك أنه ممن يجري عليه أمر ملكه

(١) مشكل الحديث وبيانه، ابن فورك، (ص٢٣٥ - ٢٣٨).

ففي ذلك دليل لنا على خلاف قول القدرية لأن الصدقة فعل المتصدّق وقد أخبر أنها في كف الله على معنى أنها في ملكه وتحت قدرته وهذا يوجب أن يكون مقدور الله مخلوقًا لله.

وأما قوله ﷺ: «**وَلا يَصْعَدُ إلى اللهِ**» فليس معناه نسبة المكان والحيز إلى الله بل هو بمعنى الحديث الذي رواه مسلم قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**» فيكون المعنى ما يقبله الله من الأعمال الصالحة وليس بمعنى نسبة الحيز والجهة إلى الله تعالى الله وتنزه عن ذلك علوًا كبيرًا ولأن الله تعالى هو الذي خلق الجهات والأماكن، والمكان هو الفراغ الذي يشغله الجسم والله ليس جسمًا فلا يملأ فراغًا فلا مكان له والله تعالى ليس متحيزًا في العرش ولا في السماء بل هو سبحانه كان قبل السماء وقبل العرش بلا مكان وهو الآن على ما عليه كان.

المنُّ بالصَّدقة

مما يجب على المتصدِّق أن يحذرَ منه المنُّ بالصَّدقة، وهو أن يُعدِّدَ نِعمتَه على ءاخذِها كأن يقولَ لهُ ألم أفْعَلْ لك كذا وكذا حتى يكسِرَ قلبَه، أو يَذكرَها لِمَنْ لا يُحِبُّ الآخِذُ اطلاعَه عليه وهو يُحبطُ الثّوابَ ويُبطِلُه قالَ الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [سورة البقرة].

ويُعَدُّ المنُّ من مَعاصِي القَلْب لأنّه أصلًا في القلبِ، فالـمانُّ يقصِدُ إيذاءَ الشّخصِ فيتَفَرَّعُ من ذلكَ العمَلُ البدنيُّ وهو ذِكرُ إنْعامِه على الشخصِ بلِسَانهِ. وأمّا إذا أحسَنَ الشخص لآخر وذاك أساءَ إليه فقال له ألَمْ أُحْسِنْ إليكَ بكذا وكذا ليَكُفَّ أذاهُ عنهُ فيجوز إذا لم يكن على وجهِ الكِبْرِ والكسرِ له.

الزكاة

تقدم أنَّ من الأمور التي ورد الشرع الحنيف بالأمر بها مرةً على سبيل الوجوب ومرةً على سبيل الحثّ والتحبيب، وعمل بها الرسول الكريم ﷺ وصحابته الكرام الصدقة والإنفاق في سبيل الله، فالإنفاق تارةً يكون نفلًا، وتارةً يكون واجبًا. ومما هو واجبٌ الزكاة والنذر والنفقة الواجبة وغيرها.

تعريف الزكاة

الزّكاة في اللغة مشتقّة من الزّكاء، وتعني الزّيادة والنّماء. وقد تمّ تسمية ما يتمّ إخراجه من المال للمساكين، وذلك بإيجاب الشّرع، باسم الزّكاة، وذلك لأنّها تعمل على زيادة المال الذي تمّ إخراجها منه، وتوفّره، وتقيه من كلّ الآفات، وأمّا الزّكاة في الاصطلاح فلها عدّة تعريفات منها: أنّها حق واجب في المال، ومنها: أنّها اسم لأخذ شيء مخصوص، من مال مخصوص، على أوصاف مخصوصة، لطائفة مخصوصة.

وهي نوعان: زكاة الأبدان وهي الفطرة، ولا تعلق لها بمال إنما يراعى فيها إمكان الأداء، وزكاة الأموال: وهي ضربان: زكاةٌ تتعلق بالقيمة المالية وهي زكاة التجارة، وزكاة تتعلق بالعين. والأعيان التي تتعلق بها الزكاة ثلاث: حيوان وجوهر

ونبات. وتختص من الحيوان بالنعم ومن الجواهر بالنقدين ومن النبات بما يقتات به حالة الاختيار(١).

إثبات فرضية الزكاة

والزَّكاة فريضة من فرائض الدِّين، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة. والدليل على ذلك:

أولًا: من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة المزمل].

ثانيًا: من السُّنَّة: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(٢). وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: «**أَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**»(٣).

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي، (٥/ ٣١٤).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان، باب قَوْلِ النَّبِي ﷺ «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»، (١/ ٣٤)، رقم الحديث ١٢٢.

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب الزكاة، باب ماجاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة، (٣/ ٢١)، رقم الحديث ٦٢٥.

ثالثًا: من الإجماع: نقل الإجماع على ذلك النوويُّ، فقال في المجموع ما نصه: «وأما حكم المسألة فالزكاة فرض وركن بإجماع المسلمين وتظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على ذلك»[1].

فمن جحدها كفر إلا أن يكون قريبَ عهدٍ بالإسلام وهو لا يعرف وجوبها أو نشأ ببادية بعيدة عن المسلمين وكان ممن خفي عليه حكم وجوبها[2]، ولكنّه عصى الله لأنه أفتى بغير علمٍ فتلزمه التوبة.

عقوبة مانعي الزكاة

قَالَ الله تبارك وتَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة ءال عمران]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة التوبة].

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي، (٥/ ٣٢٦).

(٢) المجموع شرح المهذب، النووي، (٥/ ٣١٤).

وأخرج الشّيخان وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ»** أي ويوسّع جسمه لها كلّها وإن كثرت، كما رواه الطّبرانيّ عن ابن مسعودٍ **«كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»**.

وحكي[١] أنّ جماعةً من التّابعين خرجوا لزيارة أبي سنانٍ، فلمّا دخلوا عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نزور جارًا لنا مات أخوه ونعزّيه فيه. قال محمّد بن يوسف الفريابيّ: فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرّجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجعلنا نعزّيه ونسلّيه وهو لا يقبل تسليةً ولا عزاءً، فقلنا له: أما تعلم أنّ الموت سبيلٌ لا بدّ منه؟ قال: بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب؛ فقلنا له: قد أطلعك الله على الغيب؟ قال: لا، ولكن لمّا دفنته وسوّيت عليه التّراب وانصرف النّاس جلست عند قبره وإذا صوتٌ من قبره يقول: آه أفردوني وحيدًا أقاسي العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلّي،

---

(١) **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، ابن حجر الهيتمي، (١/ ٢٨٤).

قال: فأبكاني كلامه فنبشت عنه التّراب لأنظر ما حاله وإذا القبر يلمع عليه نارًا وفي عنقه طوقٌ من نارٍ فحملتني شفقة الأخوّة ومددت يدي لأرفع الطّوق من رقبته فاحترقت أصابعي ويدي ثمّ أخرج إلينا يده فإذا هي سوداء محترقةٌ. قال: فرددت عليه التّراب وانصرفت. فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه؟ فقلنا: فما كان أخوك يعمل في الدّنيا؟ قال كان لا يؤدّي الزّكاة من ماله، قال: فقلنا: هذا تصديق قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ ١٨٠﴾ [سورة ءال عمران] وأخوك عجّل له العذاب في قبره إلى يوم القيامة، قال: ثمّ خرجنا من عنده وأتينا أبا ذرٍّ صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قضيّة الرّجل وقلنا له: يموت اليهوديّ والنّصرانيّ ولا نرى فيهم ذلك، فقال: أولئك لا شكّ أنّهم في النّار وإنّما يريكم الله في أهل الإيمان لتعتبروا. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ١٠٤﴾ [سورة الأنعام].

ومانع الزكاة تُرفع البركة من ماله وتجارته، وهو ملعونٌ هالكٌ إلا أن يتدارك نفسه بالتوبة، فمنع الزكاة خبثٌ وملعنة.

مصارف الزكاة

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [سورة التوبة].

فتُقسّم مصارف الزّكاة إلى ثمانية أصناف، وهي:

١- **الفقراء**: والفقير هو من لم يجد كفايته إلا الشيء القليل والذي يكون دون النّصف، فإن كان لا يجد ما ينفق على نفسه وعلى عائلته نصف سنة فيعتبر فقيرًا، ويُعطى ما يكفيه وعائلته مدّة سنة.

٢- **المساكين**: والمسكين هو من وجد من كفايته مقدار النّصف فأكثر، ولكنّه لا يجد ما يكفيه خلال سنة كاملة، وبالتالي تُكمّل له نفقة سنة، وفي حال لم يكن لدى الرّجل نقود، ولكن كان بيده حرفة أو صنعة ما تقوم بكفايته، فإنّه لا يمنح من مال الزّكاة في هذه الحال.

٣- **العاملون عليها**: إنّ العاملين على الزّكاة هم من توكّلهم الدّولة بمَهمة جباية الزّكاة من أهلها، ثمّ صرفها إلى مستحقّيها، والحفاظ عليها، وبالتالي فهم يعطَون منها بقدر عملهم، حتّى وإن كانوا أغنياءً.

٤- **المؤلفة قلوبهم**: والمؤلفة قلوبهم من كان ضعيف النيّة في أهل الإسلام أي بين المسلمين بأن يكون دخل في الإِسلام وفي نفسه وَحشةٌ من المسلمين أي لم يتآلف مع المسلمين فيُعطى من الزكاة حتى تقوى نيّته بالإِسلام، أو يكون شريفًا في قومه يتوقّع بإعطائه إسلام نظرائه، فهذا أيضًا داخلٌ في المؤلَّفة قلوبهم حتى إذا أُعطي هذا يرغب أولئك الذين هم أمثاله من الكفّار أن يدخلوا في الإِسلام.

٥- **الرِّقاب**: يدخل في هذا الباب شراء الرّقيق من أموال الزّكاة، وإعتاقهم، وإعانة المكاتبين، وفكّ أسرى المسلمين.

٦- **الغارمون**: وهؤلاء هم المدينون، في حال لم يكن لديهم ما يمكن أن يوفوا به ديونهم، فهم يعطون من مال الزّكاة ما يسمح لهم بإيفاء ديونهم، سواءٌ أكانت قليلةً أم كثيرةً، حتى وإن كانوا أغنياء من ناحية قوتهم، فإذا كان هناك رجل له موارد تكفيه ومن عليه نفقتهم، وكان عليه دين لا يقدر على الوفاء به، فإنّه يمنح من مال الزّكاة ما يمكّنه من إيفاء دينه، ولا يجوز إسقاط الدّين عن المدين الفقير واعتبار ذلك زكاةً لعدم حصول الفرز والنيّة.

٧- **في سبيل الله**: وهو الجهاد في سبيل الله، حيث إنّ المجاهدين يعطون من أموال الزّكاة كفاية جهادهم، ويشترى كذلك من خلال أموال الزّكاة آلات الجهاد في سبيل الله تعالى، وإنّ من سبيل الله أيضًا طلبة العلم الشّرعي، حيث إنّهم يعطون ما يكفيهم لطلب العلم من كتب ونحوها، إلا إن كان له مال يمكّنه من ذلك.

٨- **ابن السّبيل**: وهو من كان مسافرًا وانقطعت به الطرق، فإنّه يُمنح من مال الزّكاة ما يكفيه أن يرجع إلى بلده.

قصص وحكايات من سير رسول الله ﷺ والصالحين

النظر في سيرة الأنبياء والصالحين ليس مجرد ترويح، بل للعظة والعبرة واتخاذهم أسوة حسنة، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [سورة يوسف]، وقال عزَّ وجلَّ عن سيدنا محمدٍ ﷺ وأصحابه: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [سورة الفتح]، فطوبى لمن سلك طريقهم واقتفى أثرهم وسار على خطاهم واهتدى بهداهم فكان من الفائزين في الدنيا والآخرة.

ومع أنَّ القصص كثيرة سواء وردت عن الأنبياء المرسلين أو عن الصحابة والتابعين أو غيرهم من أهل الصلاح والفلاح في كل زمان ومكان، إلا أننا سوف نكتفي بالإشارة إلى بعض القصص والمواقف التي تؤكد على منهجهم وحبهم للخير ومسارعتهم لعمله ومدى إخلاصهم لله عزَّ وجلَّ.

أكرم الناس رسول الله محمد ﷺ

من جميل صفاته ﷺ كرمُه الفياض، وجُوده السيّال، كرمُه كرمُ رجل عافت نفسه الدنيا، إنه أكرمُ الناس وأجودُهم، وصفه ابنُ عمهِ ابنُ عباس رضي الله عنه فقال: «كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسُه القرآن، فلرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخير من الريح المرسلة»[1].

وعاشره أنس بن مالك عشرَ سنين، ثم وصفه فقال: «كان النبي ﷺ أحسنَ الناس وأشجعَ الناس وأجودَ الناس»[2].

ومن رام إثبات ذلك فَلْيُصغِ السمع:

رجع النبي ﷺ من حنين فعلِقه الناس يسألونه، حتى اضطروه إلى سمُرة[3]، فخطِفَتْ رداءَه، فوقف النبي ﷺ فقال: **«أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ،**

---

(١) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، (٣/ ١٣٠٤)، رقم الحديث ٣٣٦١.

(٢) **صحيح البخاري**، البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، (٥/ ٢٢٤٤)، رقم الحديث ٥٦٨٦.

(٣) نوع من الشجر.

ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلاَ كَذُوبًا، وَلاَ جَبَانًا»[1].

وجاء إليه ﷺ رجل فسأله أن يعطيه، فقال النبي ﷺ: «مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ، فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَعْطَيْتَهُ فَمَا كَلَّفَكَ اللهُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنْفِقْ، وَلا تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا. فتبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعُرِفَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ لِقَوْلِ الأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «بِهَذَا أُمِرْتُ»[2].

وجاءه ﷺ نفرٌ من الأنصار فسألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفِد ما عنده، ثم قال: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»[3].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة ببردة قال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم هي الشملة منسوج في

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، (٣/ ١٠٣٨)، رقم الحديث ٢٦٦٦.

(٢) شمائل الترمذي، الترمذي، (ص٢٩٤).

(٣) موطأ مالك، مالك بن أنس، كتاب الجامع، بَاب مَا جَاءَ فِي التَّعَفُّفِ عَنْ الْمَسْأَلَةِ، (٥/ ١٤٥٢، ١٤٥٣)، رقم الحديث ٣٦٥٨.

حاشيتها. قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكْسوكَها، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال رجل من القوم: يا رسول الله اكسنيها. فقال: «نَعَمْ». فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه، لقد علمت أنه لا يرد سائلًا. فقال الرجل: والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانت كفنه[1].

نعم، إنه ﷺ لا يرد سائلًا، ويجود حتى بما هو أحوج الناس إليه.

قال الشاعر:

هو البحر من أيِّ النواحي أتيتَهُ فلُجَّتُهُ المعروف والجُودُ ساحلهْ

تــراه إذا ما جئــته متهــلـلًا كأنك تعطيه الذي أنت سائلهْ

ولشدة كرمه ﷺ، يقول جابر: «ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط؟ فقال: لا»[2].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة، (٥/ ٥١٨٩)، رقم الحديث ٥٤٧٣.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، (٥/ ٢٢٤٤)، رقم الحديث ٥٦٨٧.

وفي يوم حنين جاءه رجلٌ فسأله غنمًا بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه، فقال: أيْ قومِ أسلموا، فوالله إن محمدًا ليعطي عطاء من لا يخاف الفقر! فقال أنس: إن كان الرجل ليُسلِم، ما يريدُ إلا الدنيا، فما يسلمْ حتى يكونَ الإسلام أحبَ إليه من الدنيا وما عليها[1].

ويذكر ابن عساكر أن صفوان بن أمية سار يوم حنين بين الغنائم، فجعل ينظر إلى شِعبٍ مُلأ نعمًا وشاء ورعاء، فأدام النظر إليه، ورسول الله ﷺ يرمُقه فقال النبي: «**أبا وهب، يعجبُك هذا الشِعب؟**»، قال: نعم. فقال ﷺ: «**هُوَ لَكَ وَمَا فِيهِ**». فقال صفوان: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفسُ نبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أسلم صفوان سيد قريش وأحد عقلائها لما رآه من جود النبي ﷺ، فرأى في كرم كفه وفيضِ عطائه وطيبةِ نفسه بهذا العطاء؛ ما يدل على نبوته ورسالته ﷺ.

وعطاؤه ﷺ ليس مرتبطًا بمصلحة شخصية، ولا يطرد بزيادة العلاقة مع الـمُعطى أو نقصانِها، يقول عليه الصلاة والسلام: «**إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ الله فِي النَّارِ**»[2].

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفضائل، باب مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لاَ. وَكَثْرَةِ عَطَائِهِ، (٧/ ٧٤)، رقم الحديث ٦١٦١.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل، (١/ ١٨)، رقم الحديث ٢٧.

ومن صور كرمه ﷺ ما رواه جابر بن عبد الله، قال: كنت مع النبي ﷺ في غزوة فقال لي: «**أَتَبِيعُ نَاضِحَكَ**[1] **هَذَا بِدِينَارٍ وَالله يَغْفِرُ لَكَ؟**». قلت: يا رسول الله هو ناضحكم إذا أتيتُ المدينة[2]. فقال ﷺ: «**فَتَبِيعُهُ بِدِينَارَيْنِ وَالله يَغْفِرُ لَكَ؟**» ، قال: فما زال يزيدني دينارًا دينارًا، ويقول مكان كل دينار: «**وَالله يَغْفِرُ لَكَ**» حتى بلغ عشرين دينارًا. فلما أتيت المدينة أخذتُ برأس الناضح، فأتيت به النبي ﷺ، فقال: «**يَا بِلَالُ، أَعْطِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ عِشْرِينَ دِينَارًا**»، وقال: «**انْطَلِقْ بِنَاضِحِكَ فَاذْهَبْ بِهِ إِلَى أَهْلِكَ**»[3].

صلى الله عليك يا علم الهدى.. ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم.

---

(١) أي جملك.

(٢) أي أنه يعطيه للرسول ﷺ بلا مقابل إذا وصلوا المدينة.

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، (٣/ ٢٣)، رقم الحديث ٢٢٠٥.

إنفاق أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه

كان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه موسرًا وغنيًّا من أغنياء قريش؛ حيث أعطاه الله تعالى مالًا كثيرًا لينفقه في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين، فقد ذكر صاحب كتاب الإصابة أنّ أبا بكر قد أسلم وله أربعون ألف درهم أنفقها كلّها في سبيل الله، ولـمّا هاجر إلى المدينة أخذ ماله وترك أهله وأنفق ما أخذه في سبيل الله.

واشترى أبو بكر بعيرًا وقدّمه إلى رسول الله ﷺ ليحمله إلى يثرب، واشترى أبو بكر أيضًا الرّقيق الّذين أسلموا وحرّرهم من ظلم الطواغيت؛ فقد أعتق بلال بن رباح، وعامر بن فهيرة، ونذيرة، والنهديّة وابنتها، وجارية بني المؤمل، وأمّ عبيس.

واعترف رسول الله ﷺ لأبي بكر ببذله وإنفاقه في سبيل هذا الدّين، فقال ﷺ: **«إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ»**[1].

(١) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، (١/ ١٧٨)، رقم الحديث ٤٥٥.

وحينما كان الرّسول عليه الصّلاة والسّلام يندب المسلمين إلى التبرّع والإنفاق، كان لا يتقدّم على أبي بكر أحدٌ من الصحابة؛ حيث روى الإمام الترمذيّ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطّاب يقول: أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدّق فوافق ذلك مالًا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**»، قلت: مثله، قال وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكلّ ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**»، قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا[1].

إنفاق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وإن لم يكن عمر بن الخطاب من أهل الثراء وأصحاب التجارات الكبيرة، إلا أنه كان في سيرته وتصرفاته وحسن تدبيره يُضرب به المثل، وتُدَرَّس سيرته للقادة والزعماء والسادة والمصلحين، وكان جديرًا بأن يُلقَّب بالفاروق، وكفاه عزًّا وشرفًا أن يوافق رأيه ما ينزل من القرءان الكريم.

وقد كان مسرعًا للخير سباقًا إليه شأنه شأن كثير من صحابة

(١) **سنن الترمذي**، الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما، (٥/ ٦١٤)، رقم الحديث ٣٦٧٥.

النبي ﷺ، فها هو يترك نصف ماله لله عزَّ وجلَّ، كما مر في الحديث السابق، وينافس أبا بكرٍ رضي الله عنه في الإنفاق، وعندما يتولَّى الخلافة نجده مثلًا للعدل والرحمة والتعفف عن مال المسلمين.

لقد فهم الفاروق رضي الله عنه أن الصدقة لا تكون بالمال فقط، وإنما لها وجوه كثيرة، فانتهز الفرصة وحكم فعدل، وأصلح من شأن المسلمين، وانتصر للضعفاء والمظلومين، وأقال عثرة المتعثرين، وطبق شرع الله وسنة نبيه الكريم حتى على نفسه وولده.

عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: خرجت مع عمر إلى السوق فلحقته[1] امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارًا واللهِ ما ينضجون كراعًا[2] ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت عليهم الضبع[3] وأنا بنتُ خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ فوقف معها عمر ولم يمض، وقال: مرحبا بنسبٍ قريبٍ ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا وَحَمَلَ بينهما

---

(١) أي فلحقت عمر.

(٢) الكراع بالضم في البقر والغنم كالوظيف في الفرس والبعير وهو مستدق الساق.

(٣) أي خشيت أن تأكلهم.

نفقة وثيابًا ثم ناولها خطامه فقال: اقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها فقال عمر: ثكلتك أمك[1] والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصَرا حصنًا زمانًا فافتتحاه ثم أصبحنا سُهْمَانهما فيه[2].

وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتًا ثم دخل بيتًا آخر. فلما أصبح طلحة ذهب إلى البيت ذلك فإذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى. قال طلحة: ثكلتك أمك يَا طلحة أعثرات عمر تتبع؟[3].

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان عمر يصوم الدهر وكان زمان الرمادة[4] إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد[5] في الزيت إلى أن نحروا يومًا من الأيام جزورًا فأطعمها الناس وغرفوا له طيبها فأتي به فإذا قدر من سنام ومن كبد فقال: أنّى هذا؟ قالوا: يا أمير

---

(١) المراد بذلك تنبيهه وليس الدعاء عليه بأن يموت فتثكله أمه.

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٢٨٠، ٢٨١).

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٢٨١).

(٤) زمان الرمادة: كانت زمان جدب وقحط، وكانت في زمن عمر بن الخطاب.

(٥) أي كسره.

المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم، قال: بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت أطيبها وأطعمت الناس كراديسها، ارفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام. فأتى بخبز وزيت فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز ثم قال: ويحك يا يَرْفَأ، ارفع هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت بِثَمْغ فإني لم ءاتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين فضعها بين أيديهم[1].

موقفٌ مؤثرٌ من مواقف عمر رضي الله عنه: يروى أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان رضي الله عنه وأرضاه في بستان من بساتين الأنصار، وأنسُ بن مالك رضي الله عنه وأرضاه يراقبه ويرقبه وهو لا يراه وإذا بعمر يقف وقفة محاسبةٍ ووقفة مراقبةٍ مع نفسه ويقول عمر أمير المؤمنين بخ بخ، والله لتتقين الله يا عمر أو ليعذبنك اللهُ، واللهِ لتتقيَنَّ اللهَ أو ليعذبنك اللهُ، عمرُ الذي يأتيه أعرابي قد قرض الجوعُ بطنَه وبه من الفقر ما به ويقف على رأسه ويقول: يا عمر الخير، جُزيت الجنة، اكْسُ بُنَيَّاتِي وَأُمَّهُنَّهْ وكن لنا في ذا الزمان جُنَّة[2]، أقسم بالله لتفعلنَّهْ.

فقال له عمر: فإن لم أفعل يكون ماذا؟

قال: إذا أبا حفص لأَذْهَبَنَّهْ.

---

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٢٨٠).

(٢) أي وقاية.

قال: فَإِذَا ذَهَبْتَ يكون ماذا؟

قال: تكون عن حالي لِتُسْأَلَنَّهْ، يوم تكون الأُعطيات مِنَّة، وموقف المسؤول بَيْنَهُنَّهْ، إما إلى نار وإما إلى جنة.

قَالَ: فَبَكَى عُمَرُ رضي الله عنه وأرضاه حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا غُلامُ أَعْطِهِ قَمِيصِي هَذَا لِذَلِكَ الْيَوْمِ لا لِشِعْرِهِ، أَمَا وَالله مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُ.

إنفاق عثمان بن عفان رضي الله عنه

أخرج الحاكم عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة ففرغها عثمان في حجر النبي ﷺ قال فجعل النبي ﷺ يقلبها ويقول: «**مَا ضَرَّ عُثْمَانُ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ**» قالها مرارا[1].

وفي رواية قال له النبي ﷺ: «**غَفَرَ الله لَكَ يَا عُثْمَانُ مَا أَسْرَرْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ وَمَا أَبْدَيْتَ وَمَا أَخْفَيْتَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

وأخرج ابن عدي وابن عساكر[2] عن ابن عمر رضي الله

---

(١) المستدرك، الحاكم، كتاب معرفة الصحاب رضي الله تعالى عنهم، فضائل أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، (٣/ ١١٠)، رقم الحديث ٤٥٥٣.

(٢) جامع الأحاديث، السيوطي، حرف العين، مسند عبد الله بن عمر بن

عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي لَنَا بِئْرَ رومة فَيَجْعَلها صَدَقَةً لِلْمُسْلِمِينَ سَقَاهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ العَطَشِ» فاشتراها عثمان فجعلها صدقةً للمسلمين.

وروى الطبراني[1] عن فلفلة الجعفي قال: سمعت الحسن ابن علي يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام متعلقًا بالعرش ورأيت أبا بكر آخذًا بحقوي النبي ﷺ ورأيت عمر آخذًا بحقوي أبي بكر ورأيت عثمان آخذًا بحقوي عمر ورأيت الدم ينصب من السماء إلى الأرض، فحدث الحسن بهذا الحديث وعنده قوم من الشيعة فقالوا: وما رأيت عليًّا؟ فقال الحسن: ما كان أحد أحب إلي أن أراه آخذًا بحقوي النبي ﷺ من علي ولكنها رؤيا رأيتها، فقال أبو مسعود: فإنكم تحدثون عن الحسن بن علي في رؤيا رآها وقد كنا مع النبي ﷺ في غزاة فأصاب الناس جهد حتى رأيت الكآبة في وجوه المسلمين والفرح في وجوه المنافقين فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «وَالله لَا تَغِيبُ الشَّمْسُ حَتَّى يَأْتِيَكُم الله بِرِزْقٍ»، فعلم عثمان أن الله ورسوله سيصدقان فاشترى عثمان أربعة عشر راحلة بما عليها من الطعام فوجه إلى النبي ﷺ منها بتسعة فلما رأى ذلك النبي ﷺ قال: «مَا هَذَا؟»، قالوا أهدى إليك عثمان فعرف الفرح في وجوه المسلمين والكآبة في وجوه

الخطاب، (٣٦/ ٤٨٥)، رقم الحديث ٣٩٨٥٦.

(١) المعجم الأوسط، الطبراني، (٧/ ١٩٥)، رقم الحديث ٧٢٥٥.

المنافقين فرأيت النبي ﷺ قد رفع يديه حتى رُئِيَ بياض إبطيه يدعو لعثمان دعاء ما سمعته دعا لأحد قبله ولا بعده بمثله: «اللَّهُمَّ أَعْطِ عُثْمَانَ، اللَّهُمَّ افْعَلْ لِعُثْمَانَ».

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال: أَنْشُدُ بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فَرَكَلَهُ بقدمه، ثم قال: «اسْكُنْ حِرَاءُ، لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ»، وأنا معه فانتشد له رجال، قال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين من أهل مكة قال: «هَذِهِ يَدِي، وَهَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»، فَبَايَعَ لِي؟ فانتشد له رجال قال: أَنْشُدُ بالله من سمع رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يُوَسِّعْ لنا هَذَا الْبَيْتَ فِي الْمَسْجِدِ بِبَيْتٍ لَهُ فِي الجَنَّةِ؟»، فابتعتُه من مالي فوسَّعت به المسجد فانتشد له رجال قال: وأنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال: «مَنْ يُنْفِقُ الْيَوْمَ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً؟»، فجهزت نصف الجيش من مالي قال: فانتشد له رجال قال: وأنشد بالله من شهد رُومة[1] يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالي فأبحتها ابن السبيل فانتشد له رجال[2].

وعن عبد الرحمن بن خَبَّاب السلمي قال خطب النبيُّ ﷺ فحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان: علي مائة

---

(١) بئر في المدينة لم يكن يشرب منها أحدٌ إلا بثمن فاشتراها عثمان وجعلها لجميع المسلمين.

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٠٠، ٣٠١).

بعير بأحلاسها وأقتابها ثم حث، فقال عثمان: عَلَيَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها[1]، قال: ثم نزل مرقاةً من المنبر ثم حث فقال عثمان: عليَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها فرأيت النبي ﷺ يقول بيده يحركها: «مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا»[2].

إنفاق أبي محمد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

عن سعدى بنت عوف قالت: دخل عليّ طلحة ورأيته مغمومًا، فقلتُ: ما شأنك؟ فقال: المال الذي عندي قد كثر وقد أكربني، فقلت: وما عليك اقسمه، فقسمه حتى ما بقي منه درهم واحدٌ، قال طلحة بن يحيى: فسألت خازن طلحة: كم كان المال؟ فقال: أربعمائة ألف.

وعن الحسن قال: باع طلحة أرضًا له بسبعمائة ألف فبات ذلك المال عنده ليلة فبات أَرِقًا من مخافة ذلك المال، فلما أصبح فرقه كله. رواه الإمام أحمد[3].

وعنه أن طلحة بن عبيد الله باع أرضًا له من عثمان بسبعمائة

---

(١) جمع قتب وهو الرحل.

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٠١، ٣٠٢).

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

ألفٍ، فحملها إليه، فلما جاء بها قال: إن رجلًا تبيت هذه عنده في بيته لا يدري ما يَطرُقُهُ[1] من أمر الله لغرير بالله، فبات ورسله تختلف بها في سكك المدينة حتى أسحر وما عنده منها درهم[2].

وعن سعدى بنت عوف أنَّ امرأة طلحة بن عبيد الله قالت: لقد تصدق طلحة يومًا بمائة ألف درهم، ثم حبسه عن الرَّواح إلى المسجد أن جمعتُ له بين طرفي ثوبه[3].

ومن شدة جوده وكرمه وسخائه وعطائه وإنفاقه وبذله رضي الله عنه سمَّاه رسول الله ﷺ يومَ أحدٍ طلحةَ الخير، ويومَ غزوة ذات العُشَيْرة طلحةَ الفيَّاض، ويومَ حنين طلحةَ الجود.

---

(١) أي يفجؤه.

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٤٠).

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٤٠، ٣٤١).

إنفاق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

عن أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن أبيها قال: باع عبد الرحمن بن عوف أرضًا له من عثمان بأربعين ألف دينار فقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وبعث إلى عائشة معي بمال من ذلك المال، فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَنْ يَحْنُوَ عَلَيْكُمْ بَعْدِي إِلَّا الصَّالِحُونَ**» سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة[1].

وعن الزهري قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطرِ ماله أربعةَ آلافٍ، ثم تصدق بأربعين ألفًا ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله تعالى ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله تعالى وكان عامة ماله من التجارة[2].

وعن جعفر بن برقان قال: بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت[3].

---

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٥٣).

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٥٣).

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٥٣، ٣٥٤).

وعن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف أتي بطعام وكان صائمًا فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكفن في بردة إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه وإن غُطِّي رجلاه بدا رأسه وأراه، قال: وقتل حمزة وهو خير مني يعني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بسط أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام. انفرد بإخراجه البخاري[١].

وعن نوفل بن إياس الهذلي قال: كان عبد الرحمن لنا جليسًا وكان نعم الجليس وإنه انقلب بنا يومًا حتى دخلنا بيته ودخل فاغتسل ثم خرج فجلس معنا وأُتِينا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وُضعت بكى عبد الرحمن بن عوف فقلنا له: يا أبا محمد ما يبكيك؟ فقال: هلك[٢] رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ولا أرانا أُخِّرنا لها لما هو خير لنا[٣].

وعن سعيد بن حسين قال: كان عبد الرحمن بن عوف لا يُعرَف من بين عبيده[٤].

---

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٥٤).

(٢) أي توفّي.

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٥٤). وهذا من شدة خوفه من الله وتواضعه.

(٤) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٣٥٥).

إنفاق أبي طلحة زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري رضي الله عنه

عن أنس بن مالك قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالًا وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب[1].

إنفاق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

عن مالك[2] أنّه بلغه عن عائشة زوج النّبيّ ﷺ أنّ مسكينًا سألها وهي صائمةٌ وليس في بيتها إلّا رغيفٌ فقالت لمولاةٍ لها: أعطيه إيّاه فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطيه إيّاه، قالت: ففعلت، قالت: فلمّا أمسينا أهدى لنا أهل بيتٍ أو إنسانٌ ما كان يهدي لنا شاةً وكفنها فدعتني عائشة أمّ المؤمنين فقالت: كلي من هذا هذا خيرٌ من قرصك.

وأخرج البخاري[3] عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن

---

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (١/ ٤٧٨).

(٢) موطأ مالك، مالك بن أنس، الجامع، (٥/ ١٤٥١)، رقم الحديث ٣٦٥٥.

(٣) الأدب المفرد، البخاري، حسن الخلق، باب سخاوة النفس، (١/ ١٠٦)، رقم الحديث ٢٨٠.

الزبير قال: ما رأيت امرأتين أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا كان اجتمع عندها قسمت، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئًا لغد.

وعن أم ذرة وكانت تغشى عائشة قالت: بعث إليها ابن الزبير بمال في غرارتين، قالت: أراه ثمانين أو مائة ألف فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة فجلست تقسمه بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فِطْري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟ فقالت: لا تعنفيني لو كنت ذَكَّرْتِينِي لفعلت[1].

وعن عروة قال: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفًا وإنّها لترقع جَيْبَ درعها[2].

---

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (٢/ ٢٩).

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، (٢/ ٢٩).

إنفاق أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها

عن عائشة أمّ المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ: «أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا». قالت: فكنّ يتطاولن أيّتهنّ أطول يدًا. قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب لأنّها كانت تعمل بيدها وتصدّق[1].

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ زَيْنَبَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، (٧/ ١٤٤)، رقم الحديث ٦٤٧٠.

قصصٌ وعِبَر

سبق درهمٌ مائةَ ألف دِرهم

ورد في الحديثِ الصحيح أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**سَبَقَ دِرهَمٌ مائةَ ألفِ دِرهَم**»، قيلَ وكيفَ ذلكَ يا رسولَ اللهِ؟ فقال: «**رَجُلٌ لَهُ دِرْهَمَانِ** - أي لا يملِكُ غيرَهُما - **فَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا** - أي بِنِصْفِ مَالِهِ -، **وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِمِائَةِ أَلْفٍ مِنْ عُرْضِ مَالِهِ** - أي قليلٍ من كثيرٍ -» رواه النسائي[1].

هذا الإنسان الذي لا يملِكُ مِنَ النُّقُودِ إلا دِرهَمَين فأخرَجَ دِرهمًا واحِدًا ابتغاءَ الفَضلِ مِنَ اللهِ كانَ ثوابُه أعظَم مِن ثَوابِ الغَنيّ الذي تصَدّقَ بمائةِ ألفٍ والمائةُ ألفٍ بالنّسبةِ لمالِه قَليلٌ مِنْ كَثِير. ذاكَ الذي أعطَى دِرهَما لَولا شِدّةُ يقِينِه وإخلاصِه للهِ تَعالى ما تصدَّق بهذا الدرهم وهوَ نِصفُ ما يملِكُ وتخَلّى عنهُ لوجْهِ اللهِ تعالى، فاللهُ جَعلَ ثَوابَ هَذا الدِّرهَم أفضَلُ مِنْ ثَوابِ هَذا الذي تصَدّقَ بمائةِ أَلفٍ، فالفِعلُ على حسَبِ ما يُتقِنُه المسلمُ يكونُ ثوابُه عندَ الله تعالى كبِيرًا، الإخلاصُ أصلُه الإتقانُ والشأنُ في حُسنِ النّيةِ لذلكَ عَظّم رسولُ اللهِ أَمرَ النِّيّةِ فقال «**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» العَملُ القَليلُ الذي فيهِ إخْلاصٌ عندَ اللهِ خيرٌ منَ الكَثيرِ

---

(١) سنن النسائي، النسائي، كتاب الزكاة، صدقة جهد المقل، (٢/ ٣٢)، رقم الحديث ٢٣٠٦.

الذي ليسَ فيه إخْلاصٌ.

غفر الله ذنبها بسقياها الكلب

عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِي ﷺ قال: «إِنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ[1] مِنَ الْعَطَشِ فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا[2] فَغُفِرَ لَهَا»[3].

الصياد والسَّمكة

يُحكى أنَّ رجلًا اسمه أحمد بن مسكين وكان من التابعين قال:

في البلدة رجل يُدعى أبا نصر الصياد، يعيش مع زوجته وابنه في فقر شديد، مشى في الطريق ذات يوم مهمومًا مغمومًا، يسأل الله تعالى الفرج والرزق الحلال فزوجته وابنه يتضوران جوعًا. مر على شيخه أحمد بن مسكين يقول له: أنا متعب يا سيدي، فقال له: اتبعني إلى البحر فانطلقا إليه، وقال له الشيخ: «صلِّ ركعتين على نية التيسير، واسأل الله تعالى الرزق الحلال الطيب»، فصلى، ثم قال له: «سم الله»، فكل شيء بمشيئة الله، فسمَّى الله ثم رمى

---

(١) أي أخرجه، يقال: دلع لسانه وأدلعه فدلع اللسان: أي خرج.

(٢) أي استقت له بيدها فيه.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، كتاب السلام، باب فَضْلِ سَاقِي الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا، (٧/ ٤٤)، رقم الحديث ٥٩٩٧.

الشبكة، فخرجت بسمكة عظيمة فقال له: بعها واشتر بثمنها طعامًا لأهلك. فانطلق إلى السوق يبيعها، واشترى فطيرتين إحداهما باللحم والأخرى بالحلوى وقرر أن يعود إلى الشيخ فيقدم إحداهما له؛ رد الشيخ الفطيرة قائلًا: هي لك ولعيالك، ثم أردف: «لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة».

وفي الطريق إلى بيته قابل امرأة تبكي من الجوع ومعها طفلها، فنظرا إلى الفطيرتين في يده وقال في نفسه: هذه المرأة وابنها مثل زوجتي وابني يتضوران جوعًا فماذا أفعل؟ ونظر إلى عيني المرأة فلم يحتمل رؤية الدموع فيهما، فقدمهما لها قائلًا: الفطيرتان لكما. ظهر الفرح والسرور على محياها، وسعد ابنها سعادة رقصت لها أسارير وجهه.

وعاد أبو نصر يفكر بولده وزوجته.. ما إن سار حتى سمع رجلًا ينادي: من يدل على أبي نصر الصياد؟ فدله الناس على الرجل.. فقال له: إن أباك كان قد أقرضني مالًا منذ عشرين سنة ثم مات، خذ يا بني هذه الثلاثين ألف درهم فهو مال أبيك.

يقول أبو نصر الصياد: وتحولت غنيًا بإذن الله تعالى وكثر مالي، وملكت البيوت وفاضت تجارتي، وصرت أتصدق بالألف درهم في المرة الواحدة في شكر الله تعالى.

ومرت الأيام، وأنا أكثر من الصدقات حتى أعجبتني نفسي!!

وفي ليلة من الليالي رأيت في المنام أن الميزان قد وضع ونادى مناد: أبا نصر الصياد هَلُمَّ لوزن حسناتك وسيئاتك، فوضعت حسناتي ووضعت سيئاتي، فرجحت السيئات، فقلت: أين الأموال التي تصدقت بها؟ فوضعت الأموال، فإذا تحت كل ألف درهم شهوة نفس أو إعجاب بصنيع كأنه لفافة من القطن لا تساوي شيئًا، ورجحت السيئات فبكيَت وبكيت حتى كادت نفسي تذهب وأحشائي تتقطع، وقلت: ما النجاة؟ وسمعت المنادي يقول: هل بقي له من شيء؟ فأسمع الملك يقول: نعم بقيت له رقاقتان.. وتوضع الرقاقتان (الفطيرتان) في كفة الحسنات، فتهبط كفة الحسنات حتى تساوت مع كفة السيئات. فبقيت خائفًا.. وأسمع المنادي مرة أخرى يقول: هل بقي له من شيء؟ فأسمع الملك يقول: بقي له شيء قلت: ما هو؟ قيل له: دموع المرأة حين أعطيتها الرقاقتين. فوزنت الدموع، فإذا بها كالحجر الصقيل وزنًا. فثقلت كفة الحسنات، ففرحت فرحًا شديدًا.. وأسمع المنادي كرة أخرى يقول: هل بقي له من شيء؟ فقيل: نعم ابتسامة الطفل الصغير حين أعطيَت أمُه الرقاقتان.. وترجح كفة الحسنات وترجح وترجح.. وأسمع المنادي يقول: لقد نجا.. لقد نجا.. فاستيقظت من النوم فزعا أقول ما قاله لي أحمد بن مسكين حين رد إليّ إحدى الفطيرتين: «لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة».

تاجر التمر الذي افتقر وتصدَّق بثوبه على الأرملة والأيتام

روي أنه كان بمصر تاجر تمر اسمه عطية بن خلف، وكان من أهل الثروة، ثم افتقر ولم يبق له سوى ثوب يستر عورته، فلما كان يوم عاشوراء صلى الصبح في جامع عمرو بن العاص، ووقف يدعو مع جملة الناس وهو بمعزل عن النساء، فجاءته امرأة ومعها أطفال، فقالت يا سيدي ألا فرجت عني وءاثرتني بشيء أستعين به على قوتِ أطفالي، مات أبوهم وما ترك لهم شيئًا ولا أعرف أحدًا أقصده، فقال الرجل في نفسه: أنا لا أملك شيئًا وليس لي غير هذا الثوب، ثم قال لها: اذهبي حتى أعطيك شيئًا، فذهبت معه إلى منزله فأوقفها على الباب ودخل وخلع ثوبه وائتزر بثوب بالٍ كان عنده، ثم ناولها الثوب من شق الباب، فقالت له: رزقك الله من حلل الجنة ولا أحوجك في باقي عمرك إلى أحد، ففرح بدعائها وأغلق الباب ودخل بيته يذكر الله تعالى إلى الليل، ثم نام فرأى في الرؤيا حَوْراءَ لم ير الراؤون أحسن منها وبيدها تفاحة قد عطرت ما بين السماء والأرض، فناولته التفاحة فكسرها فخرج منها حلة من حلل الجنة لا تساويها الدنيا وما فيها، فألبسته الحلة وجلست معه، فقال لها: من أنت، فقالت: زوجتك في الجنة، فقال: فبما نلت ذلك، قالت: بدعوة تلك المسكينة الأرملة والأيتام الذين أحسنت إليهم بالأمـ

فانتبه من نومه وعنده من السرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى وقد عبق المكان طيبا، فتوضأ وصلى ركعتين شكرًا لله تعالى.

سرّ العقد الثمين

روى ابن رجبٍ عن محمد بن عبد الباقي بن محمد البزاز الأنصاري قال: كنتُ مجاورًا بمكة - حرسها الله تعالى - فأصابني يومًا من الأيام جوعٌ شديد لم أجد شيئًا أدفع به عني الجوع، فوجدتُ كيسًا من إبريسم (وهو نوع من الحرير) مشدودًا بشرابة من إبريسم أيضًا فأَخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدتُ فيه عقدًا من لؤلؤ لم أرَ مثله، فخرجتُ فإذا الشيخ ينادي عليه، ومعَه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول: هذا لمن يَرُد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت في نفسي: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب واللؤلؤ فأنتفع به، وأرد عليه الكيس، فقُلت له: تعالى إليّ، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعَدَدَه، والخيط الذي هو مَشدُود به، فأخرجته ودَفعته إليه. فسلم إليّ خمسمائة دينار، فلما أخذتها قلت في نفسي: عملٌ عملته لوجه الله لا ءاخذ عليه أجرًا أبدًا، فأعدته إليه، فقال لي: لا بد أن تأخذ. ألح عليَّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى.

وأما ما كان مني: فإني خرجتُ من مكة وركبتُ البحر،

فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمتُ أنا على قطعة من المركب، فبقيت مُدّةً في البحر لا أدري أين أذهب، فوصَلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعَدتُ في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إليّ وقال: علمني القرآن. فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال. قال: ثم إني رأيتُ في ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها فقالوا لي: تحسن تكتب؟ فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاؤوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنتُ أعلمهم، فحصل لي أيضًا من ذلك شيء كثير فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبيَّةٌ يتيمة، ولها شيء من الدُنيا نريد أن تتزوج بها، فامتنعتُ، فقالوا: لا بد، وألزموني، فأجبتهم إلى ذلك. فلما زفوها إليَّ مددتُ عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه. فقالوا: يا شيخ، كسرتَ قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصتُ عليهم قصة العقد فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلتُ: ما بكم؟ فقالوا: ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدتُ في الدنيا مسلمًا مثل الذي رد عليَّ هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، فاستجاب الله دعاءه، فبقيتُ معها مدة ورزقتُ

منها بولدين. ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان فحصل لي العقد فبعته بمائة ألف دينار. وهذا المال الذي ترون معي من بقايا ذلك المال. هكذا ساق هذه الحكاية يوسف ابن خليل الحافظ في معجمه. وساقها ابن النجار في تاريخه، وقال: هي حكاية عجيبة. وأظن القاضي حكاها عن غيره. وقد ذكرها أبو المظفر سبط بن الجوزي في تاريخه في ترجمة أبي الوفاء ابن عقيل.

وهذا من بركات الالتزام بالشرع وَرَدِّ الحقوق إلى أهلها وتعريف اللقطة.

السيدة زُبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد تُنفق جواهرَ كالتلال في إجراء عيون الماءِ من مكة إلى منًى ومزدلفة وعرفات

من الأوقاف التي وثقها التاريخ وقف «عين زبيدة»، الذي سمى باسم زبيدة بنت جعفر، زوجة هارون الرشيد وابنة عمه، عرفت بحبها لعمل الخير، وقد وصفها ابن تغري بردي المؤرخ المصري في العصر المملوكي قائلًا: أعظم نساء عصرها دينًا وأصلًا وجمالًا وصيانة ومعروفًا. وقال عنها الخطيب البغدادي

في تاريخ بغداد[1]: «كانت معروفة بالخير والإفضال على أهل العلم، والبر للفقراء والمساكين، ولها آثار كثيرة في طريق مكة من مصانع حفرتها وبرك أحدثتها، وكذلك بمكة والمدينة». وكانت زبيدة أثناء حجها قد رأت ما يعانيه الحجاج من نقص المياه؛ لهذا أمرت بحفر نهر جار يتصل بمساقط مياه المطر، ودرس أمهر المهندسين المشروع، وقرروا أنه يحتاج لأموال عظيمة لإنشاء هذه العين، فكان جوابها: اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس دينارا.

وبذلت الكثير من أموالها وجواهرها لهذا الوقف، وبلغ طول تلك العين عشرة أميال. جاء في الأعلام لخير الدين الزركلي: «زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، أم جعفر زوجة هارون الرشيد وبنت عمه.. وإليها تنسب «عين زبيدة» في مكة، جلبت إليها الماء من أقصى وادي النعمان شرقي مكة، وأقامت له الأقنية حتى أبلغته مكة». فقد مّهدت طريقًا للحجاج من بغداد إلى مكة، ورصفته في بعض المواضع الوعرة، وأنشأت في هذا الطريق مرافق ومنافع ظل يفيدُ منها حجاج بيت الله الحرام منذ أيامها إلى وقت قريب.

وعرفت زبيدة باهتمامها بالعمران، فعلى امتداد الطريق من

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (١٤/ ٤٣٣).

بغداد إلى مكة المكرمة بنت المساجد والبرك والآبار والمنازل والمرافق وجعلتها للنفع العام، وأقامت الأقنية حتى وصل الماء إلى مكة وعرفة ومزدلفة صافيًا نقيًا. وزائر بيت الله الحرام، الصاعد إلى الطائف أو النازل منها يشاهد في شِقاق الجبال بقايا بناء قناة «زبيدة» الإبداعية التي نفذتها السيدة زبيدة بعد حجها عام ١٨٦هجرية، فقد أدركت مدى الصعوبات التي تواجه الحجاج خلال طريقهم إلى مكة من نقص المياه، وما يعانونه من جراء حملهم لِقرب الماء من ءالام وإرهاق، وكان الكثير منهم يموتون من جراء ذلك. ولمعالجة هذا الواقع المرير قررت زبيدة حفر نهر جار يتصل بمساقط المطر، فاشترت حائط حنين، وأمرت بأن تشق للمياه قناة في الجبال؛ وأثناء مرور القناة بالجبال، جعلت لها فتحات لأقنية فرعية أقامتها في المواضع التي تكون مظنة لاجتماع مياه السيول؛ لتكون هذه المياه روافد تزيد في حجم المياه المجرورة إلى مكة المكرمة عبر القناة الرئيسة.

وذكر ابن جبير - الرحالة الأديب - في وصف طريقه إلى مكة: «وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل التي من بغداد إلى مكة، هي آثار زبيدة ابنة جعفر، انتدبت لذلك مدة حياتها، فأبقت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها حتى الآن، ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذه الطريق». وأمرت بإجراء عين وادي نعمان إلى عرفة، وهي مياه

تنبع من ذيل جبل كرا بأرض الطائف أيضًا. وأمرت بجر هذه المياه في قناة إلى موضع يقال له الأوجر في وادي نعمان، وفيه إلى أرض عرفة. وأمرت كذلك أن تدار القناة على جبل الرحمة، وأن تجعل منها فروع إلى البرك التي في أرض عرفة ليشرب منها الحجاج يوم عرفة، ثم أمرت أن تمتد القناة من أرض عرفة إلى خلف الجبل، إلى منطقة يسميها أهل مكة المظلمة، ومنها تصل إلى المزدلفة إلى جبل خلف منى، ثم تصب في بئر عظيمة مرصوفة بأحجار كبيرة جدًا تسمى بئر زبيدة. وتصل قناة عين زبيدة إلى مشعر مزدلفة؛ حيث يوجد مقر لعين زبيدة مجاور للمشعر الحرام، لتصب العين في برك وأحواضُ خصّص بعضها لسقيا الحّجاج، وبعضها الآخر للدواب. ثم تنحـدر القناة فوق سطح الأرض، متجهة إلى منطقة العزيزية المتاخمة لمنى، فوق سلسلة من الجبال لتزويد مشعر منى بالماء وتصب أيضًا في برك عديدة، تسقي الظامئ وتزِّود المتزِّود بالماء الزلال.

وتستمر هذه القنوات متجهة نحو مكة المكّرمة، لكنها تعود لتأخذ مسارها مدفونة على أعماق قريبة من سطح الأرض، حتى تصب في بئر عظيمة مطوية بأحجار كبيرة جدًا تسمي بئر زبيدة، في منطقة تسمى اليوم بمحبس الجن، إليها ينتهي امتداد عمل قناة عين زبيدة. ووصف اليافعي عين زبيدة بـ «عين المشاس» في القرن الثامن للهجرة فقال: «إن آثارها باقية ومشتملة على

عمارة عظيمة عجيبة مما يتنزه برؤيتها على يمين الذاهب إلى منى من مكة، ذات بنيان محكم في الجبال تقصر العبارة عن وصف حسنه، وينزل الماء منه إلى موضع تحت الأرض عميق ذي درج كثيرة جدًا لا يوصل إلى قراره إلا بهبوط كالبئر، ولظلمته يفزع بعض الناس إذا نزل فيه وحده نهارًا فضلًا عن الليل». وتعرضت عين زبيدة للانقطاع لقلة الأمطار، وطرأ في بعض الأحوال على قنواتها تخريب من أثر السيول، وتوالي الأزمان، وتحركت همم بعض الخلفاء والسلاطين في الأقطار الإسلامية لترميم تلك العين، وحافظوا على ما قام به المهندسون من إعمار الطابع الجمالي، فبرعوا في تنضيد الحجارة في القنوات المُعلقة، وأقاموا الأقواس على أعمدة حجريّة جميلة مطعمة بحجارة صغيرة غاية في الجمال والدقة، أخذت شكل الفسيفساء الجميلة، بألوان تتناسب مع البيئة الصحراويّة المحيطة؛ مما يُعطي منظرًا خلابًا ممتعا يدل على رقي علمّي في الدراسة والتصميم والتنفيذ آنذاك.

فأين الملوك والرؤساء والزعماء والأغنياء والوزراء في عصرنا هذا من عمل زبيدة، فهل يكونون كهذه المرأة العظيمة في نفع الأمة وإنقاذها؟

مثلٌ رائعٌ في شدة الجود والعطاء

روى السخاوي[1] عن أبي عبد الله الواقدي أنه قال: ضقت رة من المرت وأنا مع يحيى بن خالد البرمكي وحضر عيد جاءتني الجارية فقالت: قد حضر العيد وليس عندنا من الته شيء. فمضيت لصديق لي من التجار فعرّفته حاجتي إلى لقرض، فأخرج لي كيسًا مختومًا فيه ألفٌ ومائتا درهم. فأخذته وانصرفت إلى منزلي، فما استقررت فيه حتى جاءني صديق لي هاشمي، فشكى إليَّ تأخر غلته وحاجته إلى القرض، فدخلتُ على زوجتي فأخبرتها، فقالت: على أيِّ شيء عزمتَ، قلتُ: على أن أقاسمه الكيس، قالت: ما صنعت شيئًا، أتيتَ رجلًا سوقةً فأعطاك ألفًا ومائتي درهم، وجاءك من له من رسول الله ﷺ رحمٌ ماسة، تعطيه نصف ما أعطاك السوقة؟ ما هذا شيء، أعطِه الكيس كلَّه! فأخرجت الكيس كلَّه فدفعته إليه.

ومضى صديقي التاجر إلى الهاشمي وكان له صديقًا، فسأله القرض، فأخرج الهاشمي إليه الكيس، فلمَّا رأى خاتمه عرفه، وانصرف إليَّ فأخبرني بالأمر، وجاءني رسول يحيى بن خالد يقول: إنما تأخر رسولي عنك لشغلي في حاجات أمير المؤمنين، فركبتُ إليه، وأخبرته خبر الكيس فقال: يا غلام، هات تلك

---

(١) الجواهر المجموعة، السخاوي، (ص١٠١، ١٠٢).

الدنانير. فجاء بعشرة ءالاف دينار فقال: خذ ألفي دينارٍ لك، وألفي دينارٍ لصديقك التاجر وألفين للهاشمي، وأربعة ءالاف لزوجك فإنها أكرمكم.

إنفاقٌ وعطاء يندر مثيله اليوم

روى السخاوي[1] عن الواقدي أنه قال: كنت حناطًا في المدينة في يدي ألف درهم للناس، أضارب بها، فتلفت الدراهم، فشخصت إلى العراق، فقصدت يحيى بن خالد فجلستُ في دهليزه، وآنست الخدام والحجّاب، وسألتهم أن يوصلوني إليه، فقالوا: إذا قدم الطعام إليه لم يحجب عنه أحدًا، ونحن ندخلك إليه ذلك الوقت، فلما حضر طعامه أدخلوني، فأجلسوني معه على المائدة، فسألني: من أنت؟ وما قصتك؟ فأخبرته، فلما رُفع الطعام وغسلنا أيدينا، دنوت إليه لأقبِّل رأسه، فاشمأز من ذلك، فلما صرتُ إلى الموضع الذي يُركب فيه، لحقني خادم معه كيس فيه ألف دينار، فقال: الوزير يقرأ عليك السلام، ويقول: استعن بهذا على أمرك وعد إلينا في غد، فأخذته وعدتُ في اليوم الثاني فجلست معه على المائدة وأنشأ يسألني كما سألني في اليوم الأول، فلمّا رُفع الطعام دنوتُ منه لأقبِّلَ رأسه فاشمأزَّ مني، فلمّا

(١) الجواهر المجموعة، السخاوي، (ص١٠٢، ١٠٣).

خرجت إلى الموضع الذي يُركب منه، لحقني خادمٌ معه كيس فيه ألف دينار فقال: الوزير يقرأ عليك السلام ويقول: استعن بهذا على أمرك وعُدْ إلينا في الغد، فأخذته وانصرفت وعدتُ في اليوم الثالث، فأُعطيت مثل ما أُعطيت في اليوم الأول والثاني. فلمَّا كان في اليوم الرابع، أعطيتُ الكيسَ كما أُعطيته قبل ذلك، فتركني بعد ذلك أقبِّل رأسه وقال: إنما منعتك ذلك لأنه لم يكن وصل إليكَ من معروفي ما يوجب هذا[1] والآن قد لحقك بعض النفع منّي، يا غلام، أعطه الدار الفلانيةَ، يا غلام، افرشه الفرش الفلاني، يا غلام، أعطه مائتي ألف درهم، يقضي دَيْنَه بمائة ألفٍ ويصلح شأنه بمائة ألف. ثم قال لي: الزمني وكن في داري، فقلت: أعزَّ الله الوزير، لو أذنتَ لي بالشخوص إلى المدينة لأقضيَ الناس أموالهم ثم أعود إلى حضرتك كان ذلك أرفق بي، قال: قد فعلتُ، وأمر بتجهيزي، فشخصتُ إلى المدينة ثم رجعتُ إليه فلم أزل في ناحيته.

---

(١) أي ما يكون سببًا.

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وورثة عثمان بن عفان والعبد الأسود

روى الحافظ السخاوي[1] أنه خرج عبد الله بن جعفر إلى حيطان[2] المدينة، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى أسود (عبد مملوك أسود) على بعض الحيطان وهو يأكل، وبين يديه كلبٌ رابضٌ، فكلَّما أخذ لقمةً رمى للكلب مثلها، فلم يزل كذلك حتى فرغ من أكله، وعبد الله بن جعفر واقف ينظر إليه، فلمّا فرغ دنا منه فقال له: يا غلام، لمن أنت؟ فقال: لورثة عثمان بن عفان، فقال: لقد رأيت منك عجبًا، فقال: وما الذي رأيت من العجب يا مولاي، قال: رأيتك تأكل، فكلما أكلتَ لقمةً رميتَ للكلب مثلها، فقال له: يا مولاي، هو رفيقي منذ سنين، ولا بدَّ أن أجعله كأسوتي في الطعام، فقال له: فدون هذا يجزئك، فقال له: يا مولاي، والله إني لأستحي من الله أن ءاكل وعينٌ تنظر إليَّ لا تأكل. ثم مضى عنه حتى أتى ورثةَ عثمان بن عفان، فنزل عندهم فقال: جئت في حاجة، فقالوا: وما حاجتك؟ قال: تبيعوني الحائط الفلاني، فقالوا له: قد وهبناه لك، فقال: لست ءاخذه بضعفٍ، فباعوه، فقال لهم: وتبيعوني الغلام الأسود، فقالوا له: إنَّ الأسود ربّيناه

(١) الجواهر المجموعة، السخاوي، (ص١٠٣، ١٠٤).

(٢) أي بساتين.

وهو كأحدنا، فلم يزل بهم حتى باعوه وانصرف عنهم. فلمّا أصبح غدا على الغلام وهو في الحائط، فخرج إليه فقال له: أشعرتَ أني قد اشتريتكَ واشتريت الحائط من مواليك؟ فقال: بارك الله لك فيما اشتريت ولقد غمَّني مفارقتي لمواليَّ، إنهم ربَّوني، فقال له: فأنت حرٌّ، والحائط لك، فقال: إن كنتَ صادقًا يا مولاي فأشهدك أني قد أوقفته على ورثة عثمان بن عفان، قال: فعجب عبد الله بن جعفر منه وقال: ما رأيتُ كاليوم، فقال: بارك الله فيك ودعا له ومضى.

نيل الدرجات في الصدقة والزكوات

وجوب زكاة الفطر وشروطها

إنَّ الله سبحانه وتعالى فرض علينا فرائض عظيمة لا بدَّ لنا من أن نؤدِّيَها على ما أمرنا الله به، ومن جملة هذه الفرائض زكاة الفطر، وزكاة الفطر تجب بإدراك جزءٍ من رمضان وجزء من شوال، وذلك بإدراك غروب شمس ءاخر يومٍ من رمضان وهو حيٌّ حياة مستقرة، فلا تجب زكاة الفطر فيما حدث بعد الغروب من ولد أو غنى أي ملك المال الذي يُشترط أن يفضُل عن ما يُخرج للفطرة وكذلك لا تجب فيما لو شكَّ في حدوثه بعد الغروب في نكاح الزوجة أو إسلام الشخص أو حصول الولد أو الغنى، والمراد بالغنى في هذا الموضع هو أن يكون للشخص مالٌ يخرجه زكاةً فاضلًا عن قوته وقوت من عليه نفقته يوم العيد وليلته ودَين، فمن كان عند الغروب حيًّا وكان له مالٌ يفضل عن ذلك فهو غنيٌّ في باب زكاة الفطرة، فمن كان حال الغروب بصفة الوجوب ثم حدث موتٌ أو طلاق لم تسقط زكاته وإنما تجب زكاة الفطرة على المسلم الحر ولو كان مبعَّضًا أي بعضه حر وبعضه عبد مملوك ولو كان صغيرًا، فلا تجب على الكافر أصالة وإلا فقد يكون المخرج كافرًا إذ تلزمه إخراج فطرة قريبه المسلم وعبده المسلم لأنها تجب أولًا على

المؤدَّى عنه ثم يتحملها المؤدّي، وتجب عليه فطرته، وتجب أولا على من عليه نفقتهم فطرتهم، ثم يتحملها عنهم من تجب عليه نفقتهم، وممن عليه نفقتهم الزوجة ولو رجعية أي طُلِّقت بطلقة أو طلقتين ولم تنتهي العدة، والبائن الحامل وعبدها المملوك لها إن أخدمها إياه، ويجب على الزوج فطرة زوجته وفطرة خادمها الذي هو مملوك لها إذا كانت ممن تستحق الإخدام، كأن كانت في أهلها ممن تُخدم أي يُتخذ لها خادم، والولد الصغير وإن سَفَلَ، والوالد وإن علا إذا كانا فقيرين، أما إن كانا غنيين بمال فلا تجب عليه زكاتهما، وكذلك لا يجب عليه زكاة ولده الصغير الذي هو مُكْتَفٍ بكسب لائق به، فلو قدر أحدهما على قوت يوم العيد وليلته لم تجب على الأصل أو الفرع فطرتهما. ولا يصح إخراج الفطرة عن الأصل والولد البالغ إلا بإذنه، فليُتنبَّه لذلك فإنَّ كثيرًا من الناس يغفلون عن هذا الحكم فيخرجون عن الولد البالغ بدون إذنه، وإنما يؤدي البالغ عن نفسه إن استطاع. وممن تجب إخراج الزكاة عنه المملوك. ولا تجب الزكاة على من ذكر إلا إذا فضلت عن دَينِهِ ولو كان ذلك الدَّين مؤجَّلًا، وعن كسوته وكسوة من عليه نفقته اللائقَيْن بهما منصبًا ومروءةً وقدرًا ونوعًا وزمانًا ومكانًا حتى ما يتجمّل به يوم العيد مما جرت به عادة مثله يوم العيد أو يحتاجه لنحو برد، وعن مسكنه ومسكن من عليه نفقته اللائقين بهما وإن اعتاد السكنى بأجرةٍ، وكذا عن

خادمه وخادم من عليه نفقته، وعن قوته وقوت من عليه نفقتهم ولو ما اعتيد للعيد كالحلوى ليلة العيد المتأخرة عن يومه، وأما من طرأ لهم قدرةٌ على ذلك بعد غروب شمس ليلة العيد في أثناء الليلة أو أثناء يوم العيد أخرجها من غير أن تكون فرضًا عليه، فيُعلم من ذلك أنه لا يجب الكسب من أجل أداء الفطرة. هذا إذا لم تصر زكاة الفطرة دَيْنًا عليه، وإلا بأن ترك أداءها وهو قادر حتى غربت شمس يوم العيد ثم افتقر بعد ذلك فإنه يجب عليه أن يكسب أي أن يعمل لقضاء زكاة الفطرة، ويجوز إخراجها في رمضان ولو أول ليلة من رمضان بشروط التعجيل أي تعجيل الزكاة، والسُّنَّة إخراجها يوم العيد وقبل الصلاة أي صلاة العيد ويحرم تأخيرها عن يوم العيد بلا عذرٍ، فتلخَّص أنَّ لها أوقاتًا خمسةً: وقت جواز وهو رمضان، ووقت وجوب وهو غروب شمس ءاخر يوم منه، ووقت فضيلة وهو قبل صلاة العيد، وكراهة وهو ما بعدها إلا أن يكون أخَّرها لانتظار نحو قريب، ووقت حرمة وهو ما بعد غروب شمس يوم العيد إلا أن يكون أخّرها لعذرٍ كغَيْبة ماله إلى مسافة أقلِّ من مرحلتين، فإن غاب ماله مرحلتين فأكثر فلا وجوب من أصله.

وأما مقدار الزكاة التي يجب إخراجها عن كلِّ واحدٍ صاعٌ من غالب قوت البلد، فإنْ كان غالب قوت البلد الأرز مثلًا فالمقدار على كلِّ واحدٍ صاعٌ من الأرز، وإن كان غالب قوت

البلد القمح فالمقدار عن كلِّ واحدٍ صاعٌ من القمح، وإن شاء قوَّم الصاع وأخرج مالًا بقيمته، والصاع أربعة أمداد، والمدُّ ملء الكفين المعتدلتين، وفي أداء الزكاة لا بدَّ من النيَّة وهو أن ينوي بقلبه زكاة الفرض لقوله ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنيَّات**»[1]، وتعطى الزكاة لفقير محتاجٍ ولكل من يستحق الزكاة.

الزكاة والصدقة

يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [سورة البقرة]. وقد جاء جبريل عليه السلام وسأل رسول الله ﷺ ليعلّم الصحابة عن الإسلام فأجابه الصادق المصدوق ﷺ قائلًا: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ**» الحديثَ. ومنع الزكاة وتأخير دفعها عن وقتها من غير عذر من الكبائر، فقد قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ ءاكِلَ الرِّبَا وموكِلَهُ وَمَانِعَ الزَّكَاةِ**»، فمن منعها وهو معتقد وجوبها فلا يكفر، واليوم لا يخفى ما يعانيه المسلمون من شدة الفقر وكثرة الغلاء واشتداد البلاء وتوالي النكبات، تُرى كيف كانت مواقف الصحابة أغنياء النفوس الذين أعزّهم الله تعالى بالإسلام وكيف يكون بذلهم للمال لو

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، مقدمة الشارح، (١/ ١).

كانوا في زمننا هذا؟؟

ولعلَّ هذه القصة تكون سببًا لتحريك النفوس لبذل المال والجود والسخاء والعطاء سواء في ذلك الصدقة الواجبة أو صدقة التطوع.

فقد رويَ أن يهوديًّا رأى أولاد أحد الصحابة يأكلون من تمرٍ له متدليًا إلى بيت هذا الصحابي فغضب اليهودي وأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال الصحابي: «ما رأيتُهم يا رسول الله، ولقد منعتهم قبل ذلك ونحن قوم فقراء، فقال رسول الله ﷺ: «من **يشتري هذه الشجرة ببستان له في الجنة**»، فقال صحابي ءاخر: أنا يا رسول الله، واشترى الشجرة ببستان له أعطاه لليهودي، ثم تبرَّع بهذه الشجرة لذاك الصحابي الفقير، ثم انطلق الصحابي المتبرّع إلى زوجته مناديًا إياها فردَّت عليه وقالت: ما بك؟ فقال لها: لقد بعت البستان ببستان في الجنة وعدنيه رسول الله ﷺ، فقالت: ربح البيع وربِّ الكعبة، ربح البيع وربِّ الكعبة.

واعلم أخي المسلم أنه لا يجوز دفع الزكاة إلّا إلى الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله في القرءان الكريم بقوله تعالى: ﴿۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [سورة التوبة]، والمراد

بقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الغزاة المتطوّعون بالجهاد فيُعطون ما يحتاجونه للجهاد. فلا يصح تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بكل عمل خيري لأنه لم يقل بذلك عالم من أهل الاجتهاد.

أخي القارئ، وأذكرك أيضًا بصدقة التطوع، فما أحوجنا اليوم ونحن في عسرة أن تتحرك قلوب الأغنياء لدعم مصالح المسلمين لمساعدة الفقراء، أن تتحرك صناديق الأثرياء لإسعاف المنكوبين وأهل الضرورات.

الزكاة المفروضة
حقٌّ معلوم للسائل والمحروم

مما لا شكَّ فيه أن هناك تفاوتًا في الأرزاق وحظوظ الحياة بين الناس، ومع ذلك فإنَّ الإسلام بين أن التفاوت الحقيقي يكون في مقدار إقبال العبد إلى طاعة ربِّه ومرضاته عزَّ وجلَّ.

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الزخرف]، وقد فسَّر القرطبي هذه الآية فقال: أي أَفْقَرَ اللهُ قومًا وأغنى قوما، وفاضل بين الناس، فمن فاضل ومفضول ورئيس

ومرؤوس.

ولقد عدَّدت الشريعةُ الإسلامية وجوه العون والتكافل بين المسلمين، فجعلت الزكاة المفروضة حقًّا معلومًا للسائل والمحروم، لا ثمنًا يَستوجب التزامًا مقبولًا من الفقير نحو الغني، ولا منحة يلحقها المنُّ والاستعلاء من جانب المعطي على الآخذ، ثم بيَّنت الشريعةُ سنّيّة الصدقة المندوبة، فإنَّ الإنسان سوف يُسأل يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، فكان واجبًا على مريد التجارة والخوض في المال جمعًا وصرفًا أن يعلمَ ما أحل الله تعالى منه وما حرَّم، وقد مدح رسول الله ﷺ المسلم الذي يتحرى الحلال فقال[1]: «**نِعْمَ المالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ**».

حكم منع الزكاة

حثَّ الله تبارك وتعالى وحضَّ على دفع الزكاة ووعد دافعها من المؤمنين خيرًا كثيرًا وجزاءً حسنًا فقال: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ

(١) الأدب المفرد، البخاري، باب المال الصالح للمرء الصالح، (١/ ١١٢)، رقم الحديث ٢٩٩.

أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ [سورة النور].

ذكر القرطبي في جامعه في تفسير هذه الآية الكريمة أنَّ الله تعالى يُثني على هؤلاء المؤمنين الذين لا تشغلهم التجارة عن طاعة الله من صلاةٍ وزكاةٍ ونحوها، وهم يخافون يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك، والأبصار تنظر من أي ناحيةٍ يُعطون كتبهم وإلى أي ناحية يؤخذ بهم.

ويظهر لنا من حال مانعي الزكاة في موضع ءاخر في القرءان الكريم حيث يقول الله تعالى متوعدًا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [سورة التوبة].

قال عبد الله بن عمر: «من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له».

وقد قال رسول الله ﷺ في تبيان أمر من يملكون المال ولا يزكّونه بدفع الزكاة[1]: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي**

(١) **صحيح مسلم**، مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، (٣/ ٧٠)، رقم

مِنْهَا حقَّهَا إلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

وقال رسول الله ﷺ[1]: «بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفَيْهِ وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفَيْهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيَيْهِ يَتَزَلْزَلُ».

قال النووي: «الرضف» هي الحجرة المحماة، و«النغض» أعلى الكتف، وقيل: هو: العظم الرقيق الذي على طرفه، فخروج الرضف من حلمة ثديه إلى نقض كتفه لتعذيب قلبه وباطنه حين امتلأ بالفرح بالكثرة من المال والسرور في الدنيا، فعوقب في الآخرة بالهم والعذاب.

وفي حديث ءاخر ذكر لعذاب يصيب من منع الزكاة، فقد روى الترمذي ومسلم[2] عن أبي ذر أنه قال: جئت إلى رسول

الحديث ٢٣٣٧.

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزكاة، باب فِي الْكَنَّازِينَ لِلأَمْوَالِ وَالتَّغْلِيظِ عَلَيْهِمْ، (٣/ ٧٦)، رقم الحديث ٢٣٥٣.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزكاة، باب تَغْلِيظِ عُقُوبَةِ مَنْ لَا يُؤَدِّى الزَّكَاةَ، (٣/ ٧٤)، رقم الحديث ٢٣٤٧.

الله ﷺ وهو جالسٌ في ظل الكعبة، فرءاني مقبلًا فقال: «**هُمُ الأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ**»، فقال أبو ذر: من هم فداك أبي وأمي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هُمُ الأَكْثَرُونَ، إِلاَّ مَنْ قَالَ: هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا**» فحثَا بين يديه وعن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَمُوتُ رَجُلٌ فَيَدَعُ إِبِلًا أَوْ بَقَرًا لَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهَا إِلَّا جَاءَتْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، كُلَّمَا نَفِدَتْ أُخْرَاهَا عَادَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ**».

ولا يخفى على كل ذي لبٍّ عاقلٍ الأهمية الكبرى لأمر الزكاة والصدقة.

رياء المرائين في الصدقات

قال عزَّ من قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [سورة البقرة].

قال القرطبي: قيل: إنها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه حين جاء بألف دينار في جيش العسرة، فصبها في حِجر رسول الله ﷺ فدعا له قائلًا: «**يَا رَبَّ عُثْمَانَ، إِنِّي رَضِيتُ عَنْ عُثْمَانَ، فَارْضَ عَنْهُ**»، فما زال يدعو حتى طلع الفجر فنزلت

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ﴿٢٦٢﴾﴾.

وقد بيَّنت هذه الآية أن ذلك الحكم والثواب إنما هو لمن لا يُتبع إنفاقه مَنًّا ولا أذى لأن المنَّ والأذى مبطلان لثواب الصدقة كما أخبر تعالى في الآية بعد هذا، وإنما على المؤمن أن يقصد وجه الله تعالى وثوابه بإنفاقه على المنفَق عليه، ولا يرجو شيئًا ولا ينظر من أحواله في حالٍ سوى أن يراعيَ استحقاقه، قال تعالى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الإنسان].

ومتى أنفق يريد من المنفَق عليه جزاء بوجه من الوجوه فهذا لم يرد وجه الله، وإنما يُقبل ما كان عطاؤه لله ابتغاء ما عند الله.

وقال الماورديُّ: وإذا كان العطاء على هذا الوجه خاليًا من طلب جزاءٍ وشكرٍ وعاريًا عن امتنانٍ كان ذلك أشرف للباذل وأهنأ للقابل، فأما المعطي إذا التمس بعطائه الجزاء وطلب به الشكر والثناء كان صاحب سمعةٍ ورياء، وفي هذين من الذمِّ ما يُنافي السخاء. والمنُّ من العبادِ هو ذكر النعمةِ على معنى التعديد لها والتقريع بها كأن يقولَ: قد أحسنتُ إليك ونَعشتُكَ وشبهه، أي أن يذكرَ ذلك على وجه المنِّ والأذى؛ والمنُّ من الكبائر، فقد ثبت ذلك في صحيح مسلمٍ وغيره. وإنَّ المنَّان بالصدقة أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة أي لا يرحمهم، فلا

يزكيهم ولهم عذابٌ أليم.

وروى النسائي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**[1]**: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالمرْأَةُ المتَرَجِّلَةُ تَتَشَبَّهُ بِالرِّجَالِ، وَالدَّيُّوثُ. وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ**[2]**: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالمدْمِنُ الخمْرَ، وَالمنَّانُ بِمَا أَعْطَى**»، أما الأذى فهو أعمُّ من المنِّ لأنَّ المنَّ جزء من الأذى لكنه نصَّ عليه لكثرة وقوعه، فمن أنفق في سبيل الله مخلصًا في النية ولم يُتبعه منًّا ولا أذى فأجره على الله الذي لا يُضيع أجر المؤمنين؛ والعرب تقول لما يُمنُّ به: يدٌ سوداء، ولما يُعطى من غير مسألةٍ: يدٌ بيضاء، ولما يُعطى عن مسألة: يدٌ خضراء.

وقال بعض الشعراء:

أفسدت بالمنِّ ما أسديتَ من حسنٍ ليس الكريم إذا أسدى بمنَّانِ

(١) أي لا يرحمهم.

(٢) أي مع الأولين.

إعطاء الطيب من الأموال

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [سورة البقرة].

إن الإنفاق إن كان زكاةً أو صدقةً مندوبةً أو غيره في سبيل الله عمل ينبغي أن يكون لله تعالى وحده، وهو تعبير عن الطاعة المجردة من الإنسان لربه، فكما أنعم الله على الإنسان بالطيب فلا يقبل إلا طيبًا، ولذلك جاء الأمر بإنفاق الطيب والنهي عن إنفاق الخبيث كما جاء في الآية المذكورة سالفًا والتي تخاطب المؤمنين بالإنفاق من الطيبات والجيد والنهي عن الرديء.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾ أي ولا تقصدوا الخبيث في الإنفاق، وهنا المقصود الجُعْرُورُ ولون الحُبَيْقِ، وهما نوعان رديئان من التمر لا يصح إخراجهما في الزكاة ونحوها.

﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾ قال القرطبي: أي لا ترضونه ردًّا لديونكم وحقوقكم من الناس إلا أن تتساهلوا في ذلك، أي فلا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لأنفسكم، وقال معناه البراء بن عازب وابن عباس والضحاك.

وينبّه الله تعالى في ءاخر الآية أنه هو الغني الذي لا حاجة به إلى صدقات الناس، فمن تقرب وطلب مثوبة فليفعل ذلك بما له قدر، فإنما يقدم لنفسه.

وقال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ۝٩٢﴾ [سورة ءال عمران]، قال القرطبي: التقدير: لن تنالوا ثواب البرّ حتى تنفقوا مما تحبون في سبيل الخير من صدقة أو غيرها من الطاعات.

فكيف تطيب نفس المعطي الراجي فضل الله تعالى أن يقدم بقايا طعامه الذي يريد رميه في المزابل للفقراء، وأن ينتقي أردأ الطعام واللباس وأماكن الإيواء والشراب، فليضع نفسه مكان هؤلاء الفقراء فقد يثير ءالامهم، وربما ثارت أحقادهم على الأغنياء في حين إنَّ مقصد الصدقات هو ربط قلوب المؤمنين برباط الحبّ الأخوي، وتقوية أواصر المحبة والود داخل الأسرة الواحدة، ليقوم التعاون بين الجميع في أعمال العمران والجهاد على هذا الأساس.

وعلى العكس من ذلك إذا قدّمنا للفقير كلَّ رديء مما نأباه، فإنَّ الرابط الأخوي المقصود تقويته في التعاون البنَّاء سوف يَضعف، فالمطلوب أن لا يعطى في الزكاة والصدقة إلا الجيد الحلال الطيب، فإن أعطى من حرام فكيف يتقبله الله تعالى.

ومن أسباب نزول هذه الآية ما روي عن أبي ذرٍّ الذي كان من أهل الصُّفَّةِ وهم فقراء المهاجرين الذي كان عددهم نحوا من أربعمائة شخصٍ، وذلك أنهم كانوا يَقْدمون فقراء على رسول الله ﷺ، وما لهم أهل ولا مال فبُنِيت لهم صفة في مسجد رسول الله ﷺ وهي المكان المظلل، فقيل لهم: أهل الصُّفَّةِ. يقول أبو ذر: كنت من أهل الصُّفَّةِ وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل منّا ويبقى من بقي من أهل الصُّفَّةِ عشرة أو أقل فيؤتى النبي بعشائه ونتعشى معه، فإذا فرغنا، قال رسول الله ﷺ: **«ناموا في المسجد»**.

وأخرج الترمذي عن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [سورة البقرة]، قال: نزلت فينا معشر الأنصار كنا أصحاب نخلٍ، فكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين أي ما تحمل النخل من بلحٍ ورطبٍ ونحوه فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعامًا، فكان أحدهم إذا جاع أتى هذا القنو فيضربه بعصاه فيسقط منه تمرٌ فيأكله، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي بالقنو فيه الشيص وهو التمر الذي لا يشتد نواه ويكون رديئًا، وكذلك فيه الحشف وهو أردأ التمر أو اليابس الفاسد فيعلقه في المسجد، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾

[سورة البقرة].

وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ الله إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ**»[1] أي يتقبلها الرحمن بالقبول والرضى، وليس المعنى أنَّ الله يوصف بصفات البشر.

وقد قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴿٢٧٦﴾﴾ [سورة البقرة]، فالله تعالى يُعظِم أجر الصدقة الطيبة ويضاعف ثوابها ويزيدها من فضله ويبارك فيها حتى تثقل في الميزان.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزكاة، باب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، (٣/ ٨٥)، رقم الحديث ٢٣٨٩.

الخاتمة

كانت هذه وقفات مع الإنفاق في سبيل الله والصدقة، وبيان فضلهما، وسير الصالحين فيهما، رأينا من خلال هذه الرسالة الوجيزة كيف كان خلق نبينا محمدٍ ﷺ وخُلُق أصحابه الصالحين، وكيف كانت الصدقة والإنفاق في سبيل الله تعالى سبيلًا لبلوغ المراتب العالية، وطريقًا إلى نيل رضى الرحمن.

فعلى من أراد أن يقتفي ءاثارهم ويقتدي بهم في صالح أعمالهم أن يجاهد نفسه في البذل والعطاء والجود والسَّخاء فينفق في سبيل الله ولا يقصّر ولا يدّخر للدنيا فيُحرمَ ثواب وأجر ونيل المقامات والدرجات العالية التي تُنالُ بمخالفة هوى النفس وصرفِ الأموالِ في نشر الإسلامِ وحفظِ عقيدة أهل السنة والجماعة ومساعدة الفقراء والمحتاجين والأيتام والأرامل والمنكوبين والمشردين والمهجّرين والعجائز الذين لا مُعيلَ ولا معينَ لهم من الناس فيدخر ثواب هذا الإنفاق لآخرته ويقدمه لقبره فلعلّه ينجو بذلك من عذاب القبر ومن عذاب جهنم، والله سبحانه يعطي الكثير على العمل الصالح القليل، فأنفقوا إخواني لله في مصالح البر ومصالح الأمة ولا تخشوا الفقر، والمال مال الله والرزاق هو الله، وشرفٌ عظيمٌ وخيرٌ كبيرٌ للمسلم أن ينفق أمواله واثقًا بثواب الله متيقّنًا بعظيم الأجر والفوز بالآخرة،

مخالفًا وَساوس الشيطان الذي يأمر بالشحِّ والبخلِ، مانعًا نفسه من ملذات الدنيا الفانية رجاءً بما عند الله.

وفي الختام أرجو الله تعالى أن ينفع بهذا العمل ويجعله خالصًا لوجهه الكريم وابتغاءً لمرضاته، ويجعله في ميزان حسناتِ كاتبه وناشره ومن عمل به، إنه كريمٌ منّان عظيم الإحسان، والحمد لله رب العالمين.

فهرست المصادر والمراجع

- **الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، محمد بن أبي نصر الحميدي الأزدي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله القرطبي، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- **جمع الجوامع أو الجامع الكبير**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
- **الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة**، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، عبد الرحمن السيوطي.
- **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **سنن ابن ماجه**، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، دار الفكر.
- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **السنن الكبرى**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ.
- **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **شرح صحيح مسلم**، محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- **شعب الإيمان**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت،

الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- **الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبو عيسى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- **صحيح مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت.
- **صفة الصفوة**، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- **المجموع شرح المهذب**، محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت.
- **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- **مشكل الحديث وبيانه**، أبو بكر ابن فورك، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
- **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- **الموطأ**، مالك بن أنس، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.